الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
أدب حديث و معاصر
رقم: ن2

إعداد الطالبين:
زكريا رقاب
فهيمة منصوري
يوم: ../../2020.

تجليات الأسطورة في شعر "إدريس بوذيبة"

لجنة المناقشة:

أمال منصور	أ. م.أ	جامعة محمد خيضر- بسكرة-	رئيسا
نوال أقطي	أ. م.أ	جامعة محمد خيضر- بسكرة-	مشرفا ومقررا
أمال دهنون	أ. م.أ	جامعة محمد خيضر- بسكرة-	مناقشا

السنة الجامعية:2019 - 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

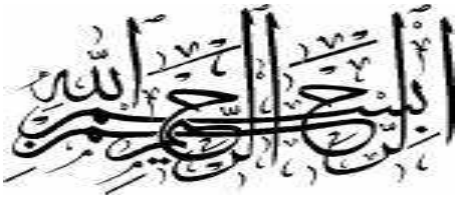

﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾

النجم، الآية 39

صدق الله العظيم

تشكر وعرفان

الحمد لله بداية ونهاية، والشكر الجزيل على توفيقنا في إنجاز هذا البحث.

إلى ينبوع العطاء التي لم تبخل ولم تمل، إلى التي أضاءت ما استظلم علينا

إلى الدكتورة الفاضلة "نوال آقطي " التي تشرفنا بإشرافها فكانت نعم المشرفة والموجة.

إلى صاحب العقل السخي، الأستاذ والشاعر" إدريس بوذيبة" الذي لم يبخل علينا بمعلومة.

إلى "أعضاء لجنة المناقشة".

لكل من مدَّ لنا يد العون من قريب أو بعيد.

مقدمـــة

مقدمة:

تُعدُّ الأسطورة من الأجناس الأدبية، التي حظيت باهتمام الباحثين والدارسين في مشارق الأرض ومغاربها على امتداد رقعة تواجد الإنسان في حِله وارتحاله، فهي التراث الجمعي الإنساني الذي اشتركت فيه جميع الأمم والشعوب قاطبة. وهذا نظرا لارتباطها الوثيق بالإنسان ومشكلاته وتساؤلاته وصراعه المَحْمُومِ مع الطبيعة في تلك الأزمنة الغابرة، فَشَكَّلَتْ الأسطورة أول تساؤل طرحه الإنسان على نفسه، وحاول الإجابة عنه من خلال طابعها الديني وشخصياتها وأزمنتها، فكانت منبعا لجميع الأشكال الأدبية التي أبدع فيها الأدباء والشعراء، فالشاعر المعاصر وظف الأساطير وتفنن فيها وزيّن بها شعره وذلك لأسباب مختلفة.

من هذا المنطق وقع اختيارنا على شعر الشاعر الجزائري "إدريس بوذيبة" مساحة إجرائية لمحاولة الكشف عن تجليات الأسطورة في إبداعه الشعري وفق دراسة عنوانها موسوم بـ: "تجليات الأسطورة في شعر "إدريس بوذيبة".

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع: الرغبة في دراسة العمل الشعري لشاعر جزائري لم يلق الحظ الوافر في الدراسة، ثم تسليط الضوء على إبداعاته الشعرية ينضاف إلى هذا متعة الكشف عن بعض الأسرار الأسطورية التي تمّ توظيفها من قبل الشاعر.

وقد جاءت هذه الدراسة للتَّعرف عن الأسطورة وأهم أنواعها، وتبيين طبيعة العلاقة التي تربط بينها وبين كيفية استيعاب الشاعر لواقعه بما شمله من مواقف ورؤى فكرية وأيديولوجية.

من أجل ذلك تبلورت مجموعة من التساؤلات التي ستتم الإجابة عنها خلال مسار البحث:

- ما مفهوم الأسطورة؟ وما أنواعها؟

- كيف وظف الشاعر "إدريس بوذيبة" الأسطورة في شعره؟

وقد تناولنا الموضوع انطلاقا من خطة مقسمة إلى فصلين:

الفصل الأول موسوم بـ "الأسطورة الماهيَّة والمضمون" ويندرج ضمنه: مفهوم الأسطورة لغة واصطلاحا، ثم نشأتها وأهم نظرياتها ، بالإضافة إلى الأسطورة عند العرب وأنواع الأسطورة وخصائصها وجمالياتها في الخطاب الشعري .

أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي معنون بـ "تجليات الأسطورة في شعر "إدريس بوذيبة"، سعينا فيه إلى الوقوف على أبرز الأساطير العربية والغربية التي وظفها الشاعر "إدريس بوذيبة"، حيث ضمَّن الشاعر شعره أساطير إغريقية وبابلية وجزائرية شعبية مع تكثيف الرموز والدلالات.

ومن هنا تطلَّب البحث إتباع المنهجين الأسطوري التاريخي والوصفي للولوج إلى المتن الشعري، من خلال الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي ارتأينا أنه يناسب دراسة الموضوع، وآليات تعمل على النفاذ داخل النص الإبداعي وإبراز جمالياته ومظاهر التجلي فيه.

وإن كان بحثنا يبدو متداولا في موضوعه إلا أنه لم يمنعنا من الاستفادة من بعض المصادر والمراجع التي كان موضوعها الأسطورة، " أحزان العشب والكلمات" و " الظلال المكسورة" لإدريس بوذيبة، وكتاب أشكال التعبير في الأدب الشعبي لصاحبته "نبيلة إبراهيم" وكتاب "الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا و الديانات المشرقية"، لفراس السواح و "معارج المعنى في الشعر العربي الحديث" لصاحبه عبد القادر فيدوح.

أو بعض الدراسات التي تناولت الأسطورة في المتن الشعري ونذكر بعض منها: آمال ماي" تجليات شهرزاد في الشعر الجزائري".

ويبقى العمل البحثي شائكا وشاقا رغم متعة التجوال بين المدونات والمراجع، فقد اعترضتنا بعض العوائق البحثية القاهرة: وهي صعوبة طباعة البحث وكيفية التنقل لاخراجه في هاته الصورة، ثم عدم توفر بعض المراجع الورقية والاعتماد على المراجع الالكترونية، وأخيرا صعوبة الإحاطة بكل جوانب الأسطورة وكيفية توظيفها.

وفي الختام نحمد الله ونشكره على توفيقه لنا على إتمام الدراسة ثم نشكر أستاذتنا الفاضلة الدكتورة "نوال آقطي" التي شرفتنا بإشرافها على هذا البحث ورعايتها وتبنيها له وتقديم يد المساعدة ونصائحها القيمة التي كانت لنا عونا في إنارة كثير من الأمور والجوانب الخفية في بحثنا، ونتمنى أن نكون قد قدّمنا شيئا يحمل فائدة للقارئ.

الفصل الأول:
الأسطورة الماهيَّة والمضمون

أولا: تعريف الأسطورة:

1- الأسطورة في اللغة.

2- الأسطورة في الإصطلاح.

ثانيا: نشأة الأسطورة:

1- نظريات نشأة الأسطورة.

2- الأسطورة عند العرب.

ثالثا: أنواع الأسطورة:

1-**الأسطورة الكونية: (الطقوسية).**

2-**الأسطورة التعليلية.**

3-**الأسطورة الحضارية.**

4-الأسطورة الرمزية.

5-أسطورة البطل المؤله.

رابعا: خصائص الأسطورة.

خامسا: جمالية الأسطورة في الشعر.

أولا: تعريف الأسطورة:

1- الأسطورة في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور مفهوم الأسطورة في مادة "سَطَرَ" يقول: "الأساطيرُ: الأباطيلُ والأساطيرُ: أحاديثُ لا نظام لها،.. وقال اللحياني: وأحد الأساطير أسطورة جمع الجمع وسطرها: أَلَفا وسطر علينا: أتانا بالأساطير، الليث: يقال: سَطَرَ فُلانٌ علينا يسطرُ إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل...!!. [1]

كما وردت مادة سَطَرَ في القاموس المحيط لفيروز آبادي في قوله: «السَطْرُ: الصَّفُ من الشيء كالكِتابِ والشَّجْرِ وغَيْرِهِ وجَمع: أسْطُرٌ وسُطُورٌ وأَسْطارٌ والجمع الجمع: أساطِيرٌ والأساطيرُ الأحاديث التي لا نِظَامَ لَهَا، وسَطر تسْطيرًا: أَلَفَ عَلَيْنَا: أتانا بالأَسَاطيرِ».[2]

ويشترك معنى الأسطورة في لسان العرب وقاموس المحيط، في معنى واحد وهو الأباطيل التي لا صحة في معناها، وهي تخالف العقل والشرع.

ويعد القرآن الكريم أبرز نص موظف للفظة الأسطورة.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝﴾[3]، وما جاء عن تفسير ابن كثير عن الآية: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعنون كتب الأوائل استنسخها[4]، وقد وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، مادة سَطَرَ، ج4، ص363.

[2] – الفيرز آبادي: قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د ط)، 2008، ص770.

[3] – سورة الفرقان، الآية05.

[4] – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج6، دار الطيبة، الرياض، ط2، 1999، ص94.

يَسۡطُرُونَ ۝١﴾[1]؛ أي وما يعملون، وقال السدي: يعني الملائكة وما تكتب من عمل العباد. [2]

فلفظة الأسطورة في نص القرآن الكريم، تتشعب معاينها بحسب سياق الآية وسبب نزولها، فهي تأتي بمعنى استنساخ كتب الأوائل، وكذلك بمعنى كتابة الملائكة لعمل العباد، ومن هنا فإن القرآن الكريم مصدر من مصادر الأمة الإسلامية للقبض على معاني الأسطورة.

2- الأسطورة في الإصطلاح:

يصعب تحديد مفهوم متفق عليه بعرف معنى الأسماء، ولما كان الأمر كذلك فإننا نجد القديس أوغستين 354-430م في اعترافاته عن الأسطورة يفصح عن هذه الصعوبة بقوله: «إني أعرف جيدا ما هي شريطة ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سألت وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ»[3].

وهذا الكلام أكده الباحث الفولكلوري العربي عبد الحميد يونس في معجمه، حين قال: «من العسير أن تضع تعريفا للأسطورة يجمع عليه العلماء المتخصصون، ذلك لأن الأسطورة واقع ثقافي ممعن في التعقيد تختلف حوله وجهات النظر، بل وتتعارض بعض هذه الإجابات مع بعضها تعارض شنيعا»[4].

ولهذا سنحاول أن نقدم أهم التعريفات التي صِيغَتْ في هذا السياق.

---

[1] – سورة القلم، الآية01.

[2] – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج8، ص187.

[3] – أمال ماي: تجليات شهرزاد في الشعر الجزائري، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص25.

[4] – أحمد قبطون: الأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة الرمال، ولاية الوادي ،الجزائر، ط1، 2016، ص11.

فالأسطورة في اليونانية Mythos (ميثوس)... وهي في الإنجليزية Myth (ميث)... وعلى ذلك فإن المعنى في اللغتين«هو الشيء المنطوق»... وهنا نلحظ القرابة بين هاتين الكلمتين وبين كلمة Mouth (ماوث) الإنجليزية التي تعني فم،... فمعنى الأسطورة إذن هي الكلام المنطوق. أو القول... ولكن أي قول؟

يذهب الدارسون إلى أنه القول المصاحب للعبادة والطقوس الدينية... فالأسطورة إثبات للجانب الكلامي من الحركة في العبادة، قبل أن تصبح هي نفسها حكاية حول هذه الطقوس أو منبثقة من هذه الطقوس[1].

إن كانت الأسطورة تعني في مرحلة ما مجموع الطقوس والعبادات التي يؤديها الإنسان، والتي أصبحت إلى حكاية. فهي كذلك: «رواية أفعال إله أو شبه إله... لتفسير علاقة الإنسان بالكون أو بنظام اجتماعي بذاته أو عُرْف بعينة أو بنية لها خصائص تنفرد بها، أو هي مظهر لمحاولات الإنسان الأولى كيف ينظم تجربه حياته في وجود غامض خفي إلى نوع ما من النظام المعترف به». [2]

فأبطال الأسطورة ليسوا بشرا، وإنما آلهة أو أشباه آلهة، أما مادتها فتروي أفعالا خارقة، وتمثل ضرورة ملحة للخوض في تفسرات العلاقات الإنسانية الكونية أو الأنظمة الاجتماعية أو محاولات الإنسان البدائية لتنظيم حياته في وجود غامض أو خفي .

– فالأسطورة – مغامرة العقل الأولى– كما عدَّها "فراس السواح"، وهي تُجسد هذا القلق الوجودي للإنسان، لذا يقول الباحث: «الأسطورة نظام فكري، استوعب قلق الإنسان الوجودي، وتوقفه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والأحاجي التي يتحداه النظام الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه، إنها إيجاد النظام حيث لا نظام، وطرح

[1] – فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، جذور التفكير وأصالة الإبداع، عالم المعرفة، سلسة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع284، يناير 1978، ص22.

[2] – نضال صالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص12.

الجواب على ملحاح السؤال، ورسم لوحة متكاملة للوجود، لنجد مكاننا فيه ودورنا في إيقاعات الطبيعة إنها الأداة التي تزودنا بمرشد ودليل في الحياة، ومعيار أخلاقي في السلوك، إنها مجمع الحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم ».[1]

وهكذا فالأساطير هي أجوبة على تلك الأسئلة الملحة والأولى التي تتبدى للإنسان البدائي، بحث في أصل نظام الكون والوجود، ومن ثمة فالأساطير اختصارات للحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم.

إن الأسطورة عند ليفي "شتراوس" (Claude Lévi-Strauss) تشير دائما إلى :«وقائع يزعم أنها حدثت منذ زمن بعيد، لكن ما يعطي الأسطورة قيمتها العلمية هو أن النمط الخاص الذي تصفه يكون غير ذي زمن محدد، إنها تفسر الحاضر والماضي وكذلك المستقبل،... وجوهر الأسطورة لا يكمن في أسلوبها أو موسيقاها أو في بنيتها، ولكن في القصة التي تحكيها» [2]، إذ لا يمكن أن نحصر الأسطورة في زمن معين، فهي جسر يفسر به الماضي والحاضر والمستقبل، إنها لا تملك زمنا محددا أو فترة معينة، وجوهرها يكمن في محتواها والقصة التي تحكيها لا في أسلوبها أو موسيقاها أو حتى بيئتها.

وهكذا تشق الأسطورة سبيلها من باحث إلى آخر، وكذلك من دارس إلى آخر، ليجد كل باحث صعوبة في وضع حد نهائي للأسطورة، فهذا "مرسيا إلياد"(Merced elladde) وفي محاولة لتعريف الأسطورة، يرى بأن التعريف الذي يبدو أقل التعريفات نقصا، لأنه أوسعها، هو التعريف التالي: «الأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي، هو زمن (البدايات). بعبارة أخرى، تحكي لنا الأسطورة كيف

---

[1]– فراس السواح: مغامرة العقل الكبرى دراسة في الأسطورة ، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1981 ، ص15.

[2]– كلود ليفي شتراوس: الأسطورة والمعنى، تر: شاكر عبد الرحمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (دط)، (د ت)، ص ص 5 – 6.

جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، إذن هي دائما سرد لحكاية (خلق): تحكى لنا كيف كان إنتاج شيء، كيف بدأ وجوده، لا تتحدث الأسطورة إلا عما قد حدث فعلا عندما ظهر في كل امتلائه، أما أشخاص الأساطير ف (كائنات عليا) نعرفهم بما قد صنعوه في الأزمنة القوية، ذات التأثير الفعال، وهي أزمنة البدايات (...) باختصار تصف الأساطير مختلف تفجر قدسي (أو «الخارق») في العالم وليس كهذا التفجر القدسي ما يؤسس للعالم حقا ويجعله ما هو عليه اليوم، أكثر من ذلك عقب تدخل الكائنات صار الإنسان إلى ما صار إليه اليوم، كائنا فانيا، ذكر أو أنثى كائنا ثقافيا»[1] .

ومن هنا يمكننا القول إن الأسطورة حكاية مقدسة، تروي تاريخا مقدسا، لأفعال اجترحتها آلهة أو أشباه آلهة، تشير إلى وقائع يزعم أنها حدثت منذ زمن بعيد، دون إغفال تأثيرها الكبير بحاضرنا ومستقبلنا. ولما كانت «الأسطورة سؤال عميق وبسيط في الظاهر لكنه محير في العمق، والإمساك بمعنى واحد للأسطورة صعب للغاية فعلى اختلافها اختلفت المفاهيم وتعددت و الوقوف على تعريف واضح وشامل لها هو بمثابة خنق وقتل لها،لأنها تتملص وبتملصها هذا تنتعش و تستمر وعلى اختلاف تعريفها وتشعبها تضمن تميزها وأسطرتها ... » [2] .

ويرجع إشكال تعدد التعاريف الذي طرح أمام منظري الأسطورة، إلى عاملين جوهريين هما:

[1] – مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1991 ، ص10.

[2] – أمال ماي: تجليات شهرزاد في الشعر الجزائري، ص 25 .

العامل الأول: التباس مفهوم الأسطورة مع أجناس أخرى كقصة المآثر أو القصة البطولية المأثورة (la légende) والحكاية الشعبية (le conte)،الملحمية (l'épopée) الخرافة (la fable) . [1]

فالتشابه القائم بين الأسطورة والأجناس المعرفية الأخرى (قصة المآثر، والحكاية الشعبية)، يجعل منها جنسا ملتبسا.

العامل الثاني: تعدد المجالات التي تتقاطع في حق الأسطورة كالأدب الشعبي والأنثروبولوجيا، وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والفلسفة وعلم الأديان، حيث يَنْسُبها وينظر لها ويعالجُها كل وفق مجال اختصاصه، ويفيد كل مجال من تلك المجالات العلمية من اتساع حقلها ليثري بحثه وتخصصه، كما أن كل من يشغله هذا المبحث ويحاول الخوض فيه، يُقِرُ بأنه لا يزعم تقديم مفهوم يحيط بأكثر عدد ممكن من قضايا الأسطورة وجوانبها، (...) كما أن الزوايا التي ينظر من خلالها للأسطورة متعدد كالمضمون والشكل والوظيفة. [2]

إن اتساع مجال الأسطورة وتقاطعها مع علوم عدة، ومعاملتها من جوانب وزوايا مختلفة، ومحاولة الإفادة منها كل حسب تخصصه، يجعل منها جنس غني بالتأويلات.

ورغم هذا الاختلاف في التعارف الذي جعل من مفهوم الأسطورة يحتمل تأويلات عدة، إلا أن الأمر يُثْرِي مادة الأسطورة ويمدها بالاتساع ويصل بينها وبين مجالات معرفية عدة.[3] ولعل هذا ما يقصده الأنثروبولوجي مرسيا إلياد (Mircea Eliade) حينما

---

[1] – محمد علي السلايمي: الأسطورة في شعر المتنبي، نقلا عن: محمد الأمين بحري، الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، منشورات الضفاف، بيروت، ط1، 2018، ص 35.

[2] – نقلا عن: المرجع نفسه، ص 35 .

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص36.

قال: « بأن الأسطورة واقعة ثقافية بالغة التعقيد يمكن أن نباشرها ونفسرها من منظورات متعددة يُكَمِّلُ بعضها بعضا». [1]

إن استعصاء الإمساك بمفهوم محدد للأسطورة يجعل منها واقعة ثقافية بالغة التعقيد، إلا أنه لا يخفي عنا حقيقة مهمة أن هذا الاختلاف في فهم الأسطورة يعود عليها بالثراء والاتساع عبر مختلف المجالات المعرفية الأخرى.

ثانيا: نشأة الأسطورة:

تَعَدَّدَتْ واختلفت الرُؤى حول نشأة الأسطورة، فهناك من يعتقد ويُعِيدُ نشأتها إلى الظواهر الطبيعية، وهنالك من ينظر إليها نظرة دينية مقدسة، وآخرون يرجعون أصلها إلى أنها امتداد لتاريخ جماعة بشرية معينة أو إلى رمزيتها.

وإذا اقتفينا أثر نشأة الأسطورة سنجد أن علماء التاريخ والميثولوجيا يختلفون في تفسير نشأتها، فيذهب "توماس بوليفينشي(Thomas Polifech) في كتابه الموسوم بـ "ميثولوجيا اليونان والرومان" إلى أن نشأة الأسطورة تعود إلى أربع نظريات وهي: النظرية الدينية، النظرية التاريخية، النظرية الرمزية، النظرية الطبيعية ونضيف النظرية النفسية.

1-نظريات نشأة الأسطورة:

وسنحاول التفصيل في كل نظرية و إبراز الأفكار التي قامت عليها.

أ/ النظرية الدينية: فهذه النظرية تعتقد أن أصل الأساطير يعود إلى الكتاب المقدس، مع وجود بعض التغيير والتحريف، حيث «نرى أن حكايات الأساطير مأخوذة كلها من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأنها غُيِّرَت أو حُرِّفَت، ومن ثم كان هرقل اسما

[1] – مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة ، ص9 .

آخر لشمشون، والمارد ديوكاليون ابن بروميثيوم الذي أنقذه زيوس مع زوجته من الغرق فوق أحد الجبال هو نوح، وهكذا »[1] .

يرى جيمس فريز (james Frazer) رائد علم الأنثروبولوجيا الحديثة في كتابه "الغصن الذهبي" « إن الأسطورة استمدت من الطقوس الدينية، بعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين، وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته، يبدو الطقس خاليا من المعنى ومن السبب، ومن الغاية، وتخلق الحاجة لإعطاء تفسير له، وهنا تأتي الأسطورة لإعطاء تبرير لطقس مُبَجَّل قديم لا يريد أصحابه نبذه أو التَّخلي عنه» [2].

إن جيمس فريز (james Frazer) يُعِيدُ منشأ الأسطورة إلى ممارسة الطقوس الدينية لدى الأجيال الأولى، إذ يفقد الطقس خصوصية المعنى والسبب والهدف بعد زمن من ظهوره، فيمنح له تفسيرا آخرا، مما ينشأ الأسطورة التي تأتي لتفسير هذا الطقس القديم.

ب/ النظرية التاريخية: ترى هذه النظرية أن عديدا من أبطال الأساطير قاموا بأعمال خارقة عظيمة، وبعد عقود من الزمن أضاف إليها خيال الشعراء من مميزات غرائبية وعجائبية مما جعلتها تنتمي إلى الأسطورة[3]، فهذه النظرية تُعِيدُ نشأة الأسطورة إلى التاريخ البشري المقدس، « فالأسطورة من هذا المنطلق هي تاريخ مقدس، وبالتالي تاريخا حقيقيا للحوادث البشرية، في عهودها السحيقة، كالأساطير التي تتكلم عن العادات

---

[1] – مؤلف جماعي: سلسة عندما نطق السراة، الأسطورة توثيق حضاري، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، ط1، 2005، ص 31 .

[2] – معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها– أصلها – تصنيفها، مجلة المعرفة، سوريا،ع333 ،1991 ، ص60.

[3] – ينظر: المرجع السابق، ص31 .

والتقاليد، والقيم، والأساطير التي تتكلم عن المعتقدات الدينية، أو عن الحروب والانقلابات... فهذه الأساطير ليست إلا تاريخا للبشرية الأولى» [1].

إذن من خلال الأساطير يمكن أن نتعرف على عادات وتقاليد الشعوب الغابرة، وهذا بفضل التاريخ الذي أسهم في معرفة الأوضاع والظروف التي كانت سائدة في تلك المجتمعات .

« ومن الملاحظ أن الأساطير أعطتنا جزءا من تاريخ الشعوب قديما، فقد احتوت على كثير من الأحداث التي جرت فعلا في التاريخ، كالحروب والفيضانات وغيرها ...

يقول "أوهميروس (Euhemerus): إن الآلهة ملوك أُلِّهُوا . أي أنهم تاريخيون، أو يعودون إلى عصور ما قبل التاريخ ، وإن الآلهة الإغريق ليسوا سوى بشر تاريخيون لا حقيقة لألوهيتهم» [2] .

ويرى الفرنسي "مرسيا إلياد" (Mircea Eliade) أن الأسطورة هي « ذكرى حدث تاريخي، أو شخصية حقيقية، لا تدوم في الذاكرة الشعبية أكثر من قرنين أو ثلاثة ... وتُعْزَى تلك الظاهرة إلى كون الذاكرة الشعبية تجد صعوبة في الاحتفاظ بالأحداث الفردية عبارة عن تصور بطولي لشعبه. وإذا كان أوزيريس قد تَمَزَّقَ جسده ودُفِنَتْ أشلاؤه في مختلف أنحاء مصر، فذلك رمز لخصوبة أرض مصر وانتشار زراعة الحبوب».[3]

د/ النظرية الطبيعية: إن أصحاب هذا الاتجاه يرون أن نشأة الأسطورة تعود إلى الظواهر الكونية التي أثارت انتباه الإنسان وشدت تفكيره، فالعالم "ف. فونت" F.Font يرى

---

[1] – راضية بوبكري: الأدب والأسطورة، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة ، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، عنابه 2007، ص 16 .

[2] – معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها، تصنيفها، ص 52 .

[3] – المرجع نفسه، ص 56 .

أن: «الإنسان القديم قام بتكوين التصورات (إرواحية) [*]، ومن ثم سحب هذه التصورات على الطبيعة وهذه التصورات وجدت بشكل متطابق لدى الشعوب كافة وفي جميع الأزمان، وقد عبر "فونت" عن هذه التصورات بقوله: إنها النتاج الضروري الواعي المكون للأسطورة و إن الإرواحية البدائية هي التعبير الفكري عن حالة البداءة البشرية»[1]، فهذه النظرية تعتقد أن كل من عناصر الطبيعة الماء والهواء والنار تتخذ هيئة أشخاص أو كائنات حيَّة، أو تختفي على مخلوقات خاصة، وبذلك فكان تفسير كل مظاهر الكون مثل الشمس، والبحر والقمر كائن روحي يَتَمَثَّلُ فيه، وتُبْنَى عليه أسطورة أو أساطير[2].

إلا أن هناك بعض علماء التاريخ والميثولوجيا اختلفوا في تفسير نشأة الأسطورة فهناك من يرى من الصعب تحديد الأسباب التي أدت إلى نشأتها « فمنهم من يرى كلمة الأسطورة ترتبط ببداية الحياة على الأرض، حيث كان البشر يمارسون السحر ويستحضرون الأرواح الشريرة ويؤدون طقوسهم الدينية، لأجل التعايش مع الطبيعة والرغبة في تفسير ظواهرها» [3].

إذن منذ نشأة الإنسان على هذه البسيطة، وهو يحاول تفسير ظواهرها الطبيعة عن طريق السحر، وممارسة الطقوس الدينية، واستحضار الأرواح الشريرة، ومحاولة ربط تفسيراتهم بلامعقول و اللامنطق .

---

[*]– الإرواحية : في المعنى الضيق للكلمة هي علم التصورات الروحية، وفي المعنى الواسع للكلمة هي علم الكائنات الروحية العامة. نقلا عن: معتز نديم الحجل، المرجع السابق، ص50 .

[1] – المرجع نفسه، ص 50.

[2] – سلسلة عندما نطق السراة، الأسطورة توثيق حضاري، ص 31 .

[3] – المرجع نفسه، ص 30.

إن الإنسان القديم لم يستطع تفسير الظواهر الكونية تفسيرا علميا وبالوجوه الحقيقية إنها تعمل على نسق مغاير وبواسطة بُنَى مختلفة، فتحتفظ بالأصناف بدلا من الأحداث وبالنماذج القديمة بدلا من الشخصيات التاريخية [1].

وننتقل إلى نظرية أخرى وهي: هـ/**النظرية الرمزية:** تقوم هذه النظرية «على أن كل الأساطير بكل أنواعها ليست سوى مجازات فُهِمَتْ على غير وجهها الصحيح أو فُهِمَتْ حرفيًا، من ذلك ما يُقَالُ عن أن (ساتورن) يلتهم أولاده أي الزمن يأكل كل ما يوجد فيه» [2].

ترى هذه النظرية أن كل الأساطير القديمة ما هي إلا مزيج بين الحقائق الأدبية أو الفلسفية أو التاريخية بشكل رمزي، وبعد سنوات استوعبها الناس على أساس ظاهرها الحرفي [3].

«وعلى هذا فإن (كرونوس) في الميثولوجيا الإغريقية، والذي يلتهم أطفاله بعد أن بلغته نبوءة بأنه سيولد له ابن يطيح به من على عرشه ، يرمز إلى الزمن الذي يصبح القول فيه: الزمن الذي يطوي أجزاءه طيًّا» [4].

إن المظاهر الطبيعية المتعددة في هذا الكون (مثلا النار يمكن أن ترمز إلى الدفء والمحبة والعدالة، وكذلك الغيوم الملبدة يمكن أن تدلنا على وقوع وحدوث مطر في الساعات القليلة القادمة...).

---

[1] – نضال صالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، مصر، (دط) ، 2001 ، ص 12 .

[2] – سلسلة عندما نطق السراة، الأسطورة توثيق حضاري، ص32

[3] – ينظر: معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها، تصنيفها، ص 55.

[4] – المرجع نفسه، ص 55 .

ومن خلال ما تقدَّم يمكن أن نُعَرِّفَ الرمز على أنه: «كل ما يحل محل أي شيء آخر في الدلالة عليه عن طريق الإيحاء والرمز، وإن كان يأخذ شكلا واحدا في عدة أمكنة إلا أنه يصبح ذو عدة معاني حسب الزمان والمكان وطريقة استخدامِه»[1].

ويقول "أمرسون": «إن الأشياء تدل على أنها تستخدم كرموز لأن الطبيعة ذاتها عبارة عن رمز، ثم يقول: إننا نحن نسكن رموزا»[2]، يرى المؤرخ الايطالي "فيكو"(Vico) «أن أبطال الأساطير رموزا للمجتمع الذي يُمثلونه، وفي فترة زمنية معينة، "فجلجامش" مثلا هو ... ، فالأوائل اخترعوا أساطيرهم؛ لأنهم اختلفوا دينهم تأثرا بجهلهم في تفسير قوى الطبيعة التي هي غيب وقوى خفية وأسرار سحر بالنسبة لهم، فلما نضج العقل اُعْتُمِدَ العلم بدلا من الأساطير» [3].

ويذهب "محمد عجينة" في كتابه المعنون ب "موسوعة أساطير العرب" بطرح فكرة "جيمس فريز"(james Frazer) صاحب الكتاب الشهير (الغصن الذهبي) والقائل: « بأن الأسطورة علما بدائيا يهدف إلى تفسير الحياة والطبيعة والإنسان وأنها متأخرة عن الطقوس» [4] .

و/ النظرية النفسية: يُعَدُّ "فرويد"(Sigmund Freud) من أبرز علماء علم النفس حيث يرى: «أن الأسطورة في أصلها ماهي إلا تعبيرا عن حالات نفسية، إيمانا منه بأن بواعث أي عمل إنساني يعود إلى الغرائز، وبالتالي فالأسطورة تعبر عن المكبوتات والمخزونات النفسية أي أنها وسيلة هامة تساعدهم في توضيح بنية، ونظام الحياة الفردية

---

[1] – المرجع السابق، ص55.

[2] – المرجع نفسه، ص55.

[3] – سلسلة عندما نطق السراة، الأسطورة توثيق حضاري ، ص 28 .

[4] – محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، (د د ن) ، لبنان، ط1 ، 1994 ، ص41 .

للفرد واللاوعي الجماعة»[1]، ويقول " فرويد "(Sigmund Freud) في كتابه الموسوم ب (تفسير الأحلام): «إن الأسطورة تشبه الحلم، من حيث أن أحداثها تقع خارج حدود الزمان والمكان. أما أفعال الأبطال في الأساطير فهي تحدث بعيدة عن رقابة العقل الواعي» .[2]

إن "فرويد"(Sigmund Freud) يُشَبِّهُ الأسطورة بالحلم وهذا إشارة إلى جانب اللاوعي، وبالتالي فالأحدث التي تقع في الحلم والأسطورة لا تتقيد بالزمان والمكان وإنما تبقى بمنأى عن الوعي.

من خلال النظريات السابقة الذكر نصل إلى نتيجة مفادها، أن تعدد النظريات والاتجاهات التي تناولت نشأة الأسطورة وكل نظرية حاولت إعطاء تفسير لجميع الظواهر، وبالتالي فهي شَكَّلَتْ الماضي والحاضر والمستقبل وحافظت على الذاكرة الإنسانية، وأصبحت حقلا معرفيا قائما بذاته .

2-الأسطورة عند العرب:

لقد عرفت المجتمعات القديمة عبر مختلف المراحل التاريخية نماذج أدبية عدة أسهمت في تكوين إرث حضاري وثقافي «وحتى نتوصل إلى صميم حضارة ما يجب أن نَكُونَ على علم بآلهتها» [3]، فأصبحت هذه المجتمعات تُعْرَفُ بأساطيرها إذن: « لكل شعب من الشعوب ميثولوجيا خاصة مهما بلغ تخلفه في مضمار الحضارة والثقافة والفكر فهي كالمساكن، تتفق في وجودها، وتختلف في أحجامها» [4].

---

[1] – راضية بوبكري: الأدب والأسطورة، ص 16 .

[2] – معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها، تصنيفها، ص 61.

[3]– محمود سليم الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام، دار النهار للنشر،(د ب) ، ط1 ،(د ت)، ص 14.

[4]– ميخائيل مسعود: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 24.

إن مقياس تواجد الأساطير لدى الشعوب لا يرتبط بمدى التطور الحضاري والثقافي والفكري في مختلف تجلياته، ولا يعكس مدى تقدم الشعوب فمهما كانت الشعوب متخلفة. فإن لها قدرا محدودا من الأساطير التي تعد لسان حال تلك الأمة، وبقدر ما كان الشعب متطورا ، ومتحضرا ، ومثقفا كان له إبداع وتراث زاخر.

من خلال ما تقدَّم يُمكننا طرح السؤال الآتي: هل للمجتمع العربي أساطير؟

يرى " محمد عجينة" أن المجتمع العربي وتحديدا الذي عاش في الفترة الجاهلية وفي ظل الإسلام، عرف أساطير جعلته يدرك حاضره ، وماضيه ،ويعي ذاته وكينونته «ونحن نقصد بأساطير العرب عن الجاهلية في آن واحد مختلف الأساطير التي كانت سائدة في الجاهلية وتلك التي استمرت في ظل الإسلام مُشكلة جزءا من الوعي ورؤية العالم والتي كانت أو تكونت للعرب والمسلمين أورثوها عن ماضيهم السابق للإسلام » [1].

ويُعِيدُ "محمد عجينة" سبب قلة الأساطير في الأدب العربي إلى عوامل عقائدية وإلى عدم إقبال المختصين ونفض الغبار على التراث الأسطوري، وذلك لملامسته المقدسات العقائدية فيقول: «جانب من تراثنا الأسطوري قد ضاع في جملة ما ضاع لأسباب عقائدية لا تخفى، أو مازال موجودا إلا أنه بين طبقات الأرض وبطون الرمال دفينا ومحتجبا أو في تراثنا المكتوب والمنقوش أو لأنه يلابس نصوصا تعتبر من المقدسات ولذلك فهو يدخل في جانب المسكوت عنه رغم أنه لا حياء في العلم»[2].

أما الدكتورة " نبيلة إبراهيم" فتتعجب من عدم وجود نماذج أسطورية كاملة في الأدب العربي، وتُرْجعُ ذلك لانشغال العرب بأشكال أدبية أخرى كالحكايا والقصة والسير الشعبية. «ونخلص في النهاية إلى أن العرب الجاهليين شغلهم الكون بظواهره المتعددة إلى درجة أننا نتعجب حقا لعدم وجود نماذج أسطورية كاملة، بخاصة وأن مقدرة العربي على تكوين

[1]– محمد عجينة : موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ص14.

[2] – المرجع نفسه، ص نفسها.

القصة كانت متوافرة للغاية كما تدلنا على ذلك الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى التي ابتدعها الخيال العربي في وفرة »[1].

وتقدم لنا تفسيرا لغياب الأسطورة العربية «فإذا حاولنا أن نعلل غياب الأسطورة العربية، فإننا نرجع هذا إلى سببين، أولهما أن العصر الجاهلي المتأخر الذي نقلت عنه هذه الأخبار لا يُمَثِّلُ العصر الأسطوري الذي يمكن أن تتكون فيه الأسطورة. ذلك أن هذا العصر لا يمثل عصر البراءة والسذاجة الذي يمكن أن يقنع فيه الإنسان بحكاية أسطورية تربط بينه وبين الكون ربطا تاما.

وإنما يشيع في هذا العصر على عكس ذلك جو من الشك الرهيب، إلى حد أن أخذ العربي يفكر تفكيرا وجوديا بعيدا عن العالم السماوي. أليس هو العربي القائل:

حَيَاةٌ ثُمَّ مَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرُو.

أما السبب الثاني فهو يترتّبُ على افتراضنا وجود أساطير عربية قديمة عاشت بين الناس حتى قبل مجيء الإسلام، ولكن هذه الأساطير مُسِخَتْ أوْ حُرِّفَتْ أو اِنْدَثَرَتْ بعد مجيء الإسلام »[2].

إذن لم يعرف العصر الجاهلي وصدر الإسلام الأسطورة بشكلها الكامل والمزدهر وإنما عرف التفكير الأسطوري، وذلك من خلال ما تناقلته العرب لبعض الروايات والأخبار التي تقترب من الأسطورة، «ومن ذلك ما رُوِيَّ عن اعتقادهم في النبوءة التي من شأنها أن تحدد لهم مصير شيء مجهول، فقد روي أنهم كانوا إذا عمّ عليهم أمر الغائب ولم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بئر عادية (أي مظلمة بعيدة المقعر، وبالتشديد منسوبة إلى عاد كناية على قِدَمِهَا)، أو جاءوا إلى حفر قديم ونادوا فيه: يا فلان أو يا أبا فلان ثلاث

---

[1] – نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، (د ت)، ص21.

[2] – المرجع نفسه، ص نفسها.

مرات، ويزعمون أنه إذا كان ميتا لم يسمعوا صوتا، وإن كان حيًّا سمعوا صوتا ربما توهموه، وَهْمًا أو سمعوه عن الصدى. وفي ذلك يقول الشاعر:

دَعَوْتُ أبَا المِغْوَارِ فِي الحفْرِ دَعْوَةً فَما آنَ صَوْتِـي بِالـذِّي كُـنْتُ دَاعِيًا

أظُنُّ أبَا المِـغْوارِ فِـي قَعْـرِ مُظْـلِمٍ تَجُـرُّ عَلَيْـهِ الـذَّارِيَـاتُ السَّـوَاقِـيَـا»[1].

ثالثا: أنواع الأسطورة:

من أجل توضيح أعمق للأسطورة ،لابد من تمييز أنواع وتصنيف مادتها، لذلك لجأ علماء الأنثروبولوجيا إلى تقسيمها إلى أصناف عدة لتيسير فهمها ودراستها، ومن أبرزهم الباحثة "نبيلة إبراهيم" التي ذهبت إلى تعداد خمسة أنواع وهي :

1- الأسطورة الكونية: (الطقوسية) :

ترى "نبيلة إبراهيم" أن الدافع وراء نشأة الأساطير الأولى هو التأمل في نظام الكون ومحاولة تفسيره، حيث إن الإنسان القديم كان عاجزا، من وجهة نظر أصحاب هذا الرأي على النظرة التأملية في نظام الكون، وبالمثل ذلك الرأي يقول: إن الأسطورة تمثل تخلفا لغويا حيث إن الإنسان القديم كان عاجزا عن التعبير باللغة المجردة، ثم صاغ أفكاره في خيالات أسطورية، هذا الرأي وذاك لهما ما يعارضهما من شواهد أسطورية تقطع بأن الكون بنظامه الطبيعي قد شغل الإنسان القديم، وأن هذا الإنسان عبَّر عن تصوره للظواهر الكونية من خلال اللغة التصويرية والتمثيلية [2].

وعندما حكى الإنسان لنفسه قصة الظواهر الكونية، لم يكن يود أن يقول أكثر مما قاله في الأسطورة، فما قاله في شكل حكاية، هو بعينه الحقيقة التي أحس بها، لا أكثر

---

[1] – المرجع السابق، ص22.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 23-24.

ولا أقل إن هذا النوع من الأساطير يمتاز على غيره بتمثيل الجزء الكلامي من العبادة في الجانب الفعلي. والأسطورة الطقوسية: هي التي تمثل الجانب الكلامي لطقوس الأفعال، التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع رخاءه [1].

تعكس الأسطورة الطقوسية تصور الإنسان البدائي للكون ومحاولة فهمه، من خلال اللغة التصويرية و التمثيلية لطقوس الأفعال .

وظهر هذا النوع مرتبطا أساسا بعمليات العبادة، مهما يكن شكلها وطريقها وعُنِيَتْ برصد الجزء الكلامي من الطقوس قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس، ويمتاز ذلك الجزء بقوى سحرية خفية حتى ليتمكن منشده من أن يسترجع الموقف الذي يصفه. ويجعل بعض الباحثين لهذه الأسطورة الطقوسية نظير عند المصريين ونقصد أساطير أوزوريس على سبيل المثال الذي يموت بانتهاء زمن الخصب ويحيا مع عودته، يجلس على كرسي القضاء، ويقرر مصير الأرواح التي ارتحلت إلى العالم الآخر [2].

فالنظام الكوني ظل لغزا يقلق الإنسان القديم، فذهب في تفسير الغامض انطلاقا من منطلقات عدة و مذاهب شتى، محاولا كشف الخفي في معرفة الكون وظواهره، فكانت الأسطورة الطقوسية الوليد الطبيعي لهذا التفسير.

2- الأسطورة التعليلية:

يعمل هذا النوع من الأساطير الذي نشأ في المراحل الطبيعية الأولى للإنسان على تعليل مختلف الظواهر التي صادفت الإنسان البدائي، الذي وجد نفسه مدفوعا إلى

---

[1] – عبد الرضا علي: الأسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، (د ط)، (د ت)، ص 16 .

[2] – أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 2000 ، ص43.

تبرير وجوده وردود أفعاله إزاء الكون الذي يحيط به، من أجل إيجاد تفسير يمنحه مشروعية العيش بين الكائنات التي راح ينسج حولها قصصا من خياله كلما استوقفته مبهمات الطبيعة[1]، على أن الأسطورة الكونية التعليلية ليست وليدة الإحساس بعاطفة شعورية بين الإنسان والظاهرة الكونية على نحو ما رأينا، بل هي وليدة التأمل الموضوعي في ظاهرة قد تبدو غريبة وتحتاج إلى تعليل، ويمكن القول بشيء من التجاوز، إن الأسطورة التعليلية محاولة لاصطناع أسلوب منطقي في تفسير أشياء غاب عنه الأسلوب العلمي لفهمها [2].

فالأسطورة التعليلية جاءت لتقدم تعليلا للظواهر الكونية، ولكن هذا التعليل لا يرقى إلى مصاف التعليل العلمي، بل مجرد تأملات موضوعية –عقلية– في نظام الكون وظواهره، شدت تفكير الإنسان وأثارت انتباهه، فما كان عليه إلا أن يقدم تعليلا منطقيا لا يزيد على مستوى تفكيره آنذاك.

فلم تجد طريقها إلى الوجود إلا بعد أن ظهرت فكرة وجود كائنات روحية خفية في مقابل الموجود في الظاهر، ويبدو أن طائفة من رجال الدين استطاعت أن تُوهِمَ «الجماعة» بأنها على اتصال مع هذه الكائنات الروحية، فَوُجِدَ السحر وأثار مع الروحانية الرغبة في المعرفة والتَّفْسِيرْ، ويمكن إدراج أسطورة الخلق؛ لأنها إجابات عن أسئلة استهدفت المحافظة على النوع باكتشاف القوى المحركة له، فما طبيعة الماء وكيف جاء ؟ وما النور ومن يتسلط عليه؟ وفيما تفجر الأرض بالنار واندلاع البرق والحكم على الإنسان بالموت وهو صانع للحياة ؟ [3].

---

[1] – محمد الأمين بحري: الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، ص 103.

[2] – نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، ص 28.

[3] – أحمد كمال زكي: الأساطير، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،(د ط)، (د ت)، ص ص4–5.

من هنا فالأسطورة التعليلية ترتبط بأسطورة الخلق، ولأجل تفسير ماهو ظاهر (الظواهر الكونية)، مقابل ما هو خفي (القوى المسيطرة عليها) نجدها ترتبط بالسحر وغيره من الوسائل التي تشبع فضول الإنسان البدائي.

3- الأسطورة الحضارية:

تكونت الأسطورة الحضارية من خلال مسيرة الإنسان الذي مرَّ بمراحل حضارية مختلفة ابتداء من العصر البدائي أو الهمجي إلى أن اصطنع لحياته شكلا منظما ماديا واجتماعيا، فإنه لابد أن يكون قد عبر عن هذا التغيير في أساطيره، و الأسطورة الحضارية هي تلك التي تكشف عن صراع الإنسان مع الحياة لإصراره على الانتقال من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية [1].

فالإنسان في بادئ الأمر كان يعيش في الطبيعة سيره سير الحيوان، فقد استطاع أن يصنع القوس والرمح ويصطاد بها، إذ كان من قبل ينهش الفريسة مثله ويأكلها، فلما اكتشف النار استعملها في الطهي، وهكذا أصبح يُميز بين النَّيِّ والمطهو من جهة، وبين الفاسد والصالح من الطعام [2]، وهذا الانتقال من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية، يعكس القدرات الذهنية للإنسان والتي تميزه عن الحيوان، فعندما كان الإنسان في تحد دائم مع الطبيعة استطاع أن يكتفي نفسه ويُنَمِّي قدراته الذهنية لمواجهتها، وهكذا كان الانتقال إلى المرحلة الحضارية .

---

[1] – نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص30.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

4- الأسطورة الرمزية:

وفيها تتحول القوة إلى رمز مجسد وتخلع صفات الإنسان على الآلهة أو الأبطال الخرافيين، وتمتزج في بعض قدرات الإنسان المحدودة بطاقات هائلة تؤكد قدرته على المواجهة والتغلب عليه [1].

وفي الأسْطُورة الرمزية غدت بعض الشخوص التي تحمل سمات خارقة رموزا يُعْتَدَى بها ترقى إلى مصاف الآلهة أو الأبطال الخارقين.

إذ أن الإنسان كان ينظر إلى الرمز في تلك الأساطير بوصفه حقيقة، ولكن الإنسان عندما نما وعيه بنفسه، أصبح ينظر إلى الشخوص الأسطورية نظرة يساورها الشك؛ أي أنه لم يعد يُسَلِّم بنظره الإنسان السابق لها، وقد كان هذا معناه أنه بدأ يوظف تلك الشخوص بدرجة ما على نحو رمزي [2].

ومن المؤكد أن هذا النوع وجد نُضْجًا فعليا من سابقيه، إذ أصبح ينظر للقوى الأسطورية رموزا.

5- أسطورة البطل المؤله:

يتميز هذا النوع من الأسَاطير بمنح البطل قدرات خارقة مستوحاة من الآلهة باعتبارها هبات إلهية خلقت معه منذ الولادة، سواء بفضل النسب الإلهي أو الانتساب[*].

---

[1]- فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند الغرب، جذور التفكير وأصالة الإبداع، ص23.

[2]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص38.

[*]- المقصود بالنسب الإلهي: أن ينحدر البطل من سلالة يقف على رأسها أحد الآلهة فيكتسب البطل بعض قدرات أسلافه المؤلهين، وأمثلته في الميثيولوجيا الإغريقية كثيرة، البطل أخيل، والملك ماينوس، وأمفيتريون...الخ، أما الانتساب؛ كأن لا يكون نسب البطل أية علاقة بالآلهة، لكن يحدث أن يقترن أحد الآلهة بأمه ويكون هو نتاج تلك النطفة الإلهية من زواج إله ببشرية وأبرز أمثلته في المثولوجيا الإغريقية البطل بيرسيوس، الذي كان نتاج اقتران الإله زيوس بأمه داناي، نقلا عن: محمد الأمين بحري: الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، ص119.

وقد فَصَلَتْ "نبيلة إبراهيم" بين مفهومي البطل الإله والبطل المؤله، ففي النوع الأول (البطل الإله)؛ يكون الإله هو البطل الذي من مهامه تنظيم الكون والمحافظة على الظواهر، وهو ما يتجلى في الأسطورة الطقوسية أو أسطورة التكوين، أما في النوع الثاني (البطل المؤله)، فيكون مزيجا من الصفات الإلهية والبشرية [1].

وخير من يمثل هذا النموذج هو البطل المؤله "جلجامش" من ملحمته الشهيرة، الذي يود أن يصبح بطلا ذا ميزات معينة.

رابعا: خصائص الأسطورة:

يتميز النص الأسطوري عن غيره من النصوص الأدبية والأجناس الأخرى بمعايير عدة يمكن أن نلخصها فيما يأتي:

إن الأسطورة هي عنصر مكون للفكر البشري، وعنصر جمالي وبنائي في النص الأدبي... فالأسطورة في بنيتها العميقة رؤية ثقافية وتاريخية، لكن لا تعني تاريخا ثابتا بل هي في صيرورتها عبر التطور التاريخي قادرة على كشف بؤر الظلام، سواء في الماضي أو في الحاضر وتناميه وحركيته صوب المستقبل [2].

ولقد قدَّم الكاتب السوري "فراس السواح" ثمان خصائص جوهرية للأسطورة نذكر بعضا منها:

1-من حيث الشكل: « الأسطورة هي قصة، وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات، وما إليها، وغالبا ما يجري صياغتها في قالب شعري

---

[1]- المرجع السابق، ص119.

[2]- محمد عبد الرحمن يونس: الأسطورة مصادرها وبعض مظاهرها السلبية في توظيفها، دار الألمعية، الجزائر، ط1، 2014، ص 53.

يساعد على عملية ترتيلها وتداولها في المناسبات الطقسية، كما يزودها الطابع الشعري بسلطان على القلوب، لا يتمتع به النص النثري» [1].

فالأسطورة تتطابق مع القصة في عناصر عدة منها: النسيج الحكائي والعقدة والشخصيات، غير أن الأسطورة تأتي في قالب شعري.

2-«يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتناقلته الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة، فالأسطورة السومرية "هبوط إنانا إلى العالم الأسفل" والتي دونت كتابة خلال النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، قد استمرت في صيغتها الأكادية المطابقة تقريبا للأصل السومري ، إلى أواسط الألف الأول قبل الميلاد.

غير أن خصيصة الثبات هذه لا تعني الجمود أو التحجر، لأن الفكر الأسطوري يتابع على الدوام خلق أساطير جديدة، ولا يجد غضاضة في التخلي عن تلك الأساطير التي فقدت طاقتها الإيحائية، أو تعديها» [2].

3-تتميز الأسطورة بأنها حكاية مقدسة وذلك من خلال الطابع الديني والطقوس التي تمارس في الأعياد الدينية اليونانية لكبير الآلهة " ديونيزوس"، فالأسطورة «هي حكاية مقدسة، يلعب أدوراها الآلهة، وأنصاف الآلهة، والبشر والأبطال أحداثها ليست متخيلة، بل إنها وقائع حصلت في زمن البدء (الزمن

[1]- ينظر: محمد الأمين بحري: الأسطوري والتجنيس والنقد، ص 97.

[2]- فراس السواح: الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، سوريا، (دط)، (دت)، ص12.

المقدس)[*]، وهي سجل الآلهة، ويحوي كثيرا من الطقوس الدينية والعادات» [1].

ولقد أرخت الأساطير لتاريخ الآلهة والصراعات بينها وبين بني البشر في تلك الأزمنة الغابرة.

4-تتميز موضوعات الأسطورة بالطابع الجدلي والشمولي مثل نشأة الكون وحياة الآلهة والبشر وكذلك هواجس الإنسان وتساؤلاته عن الموت والعالم الآخر ومعنى الحياة وسرّ الوجود، « وهي تشترك في موضوعاتها مع الفلسفة إلا أن الفلسفة تلجأ إلى المحاكمة العقلية للمفاهيم والعلوم بينما تلجأ الأسطورة إلى الخيال والعاطفة والترميز» [2]. لذلك تفرعت الأسطورة في بداياتها عن جدل الفلسفة و المنطق، فأصبحتا على طرفي نقيض.

5- لايعرف للأسطورة مؤلف بعينه، فهي مجهولة المؤلف « بمعنى أنها تنتقل من جيل إلى جيل، بالرواية الشفهية، مما يجعلها ذاكرة جماعية، التي تحفظ قيمها وعاداتها وطقوسها وحكمتها، وتنقلها للأجيال المتعاقبة... » [3].

فالأسطورة هي الضمير الجمعي للأمم والشعوب الغابرة، ميزتها حفظ الميراث الإنساني وتواتره عن طريق الرواية الشفوية، التي تناقلتها الأجيال عبر فترات زمنية متتالية.

---

[*]- الزمن المقدس: زمن البدء هو الزمان الأصلي الذي انبثق فجأة ولم يكن مسبوقا بزمان آخر لأنه ما من زمن يمكن أن يوجد قبل ظهور الحقيقة التي ترويها الأساطير، ويمكن استعادة الزمان المقدس كما حدث في الأصل دوريا بواسطة الطقوس والأعياد الدينية. نقلا عن: رجاء أبو علي: الأسطورة في شعر أدونيس، دار التكوين، سوريا، ط1، 2009، ص26.

[1] – المرجع نفسه، ص26.

[2] – سلسلة عندما نطق السراة، الأسطورة توثيق حضاري، ص21.

[3] – فراس السواح: مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة، ص16.

6-للأسطورة تأثير قوي على أذهان وعقول البشر لما لها من «سلطان تقديسي ذهني على عقولهم ونفوسهم، حيث لا يمكن قياس سطوتها الجبارة قديما إلا بسطوة العلم » [1]، فالأسطورة هي علم البشر الأوائل الذين حاولوا التفكير فيما يحيط بهم من مظاهر كونية غير طبيعية، لذلك تعددت الآلهة بتعدد مظاهر الطبيعة مجهولة التفسير بالنسبة إليها، وبمرور الزمن فقدت الأسطورة سلطانها التقديسي بظهور العلم.

7- تقترن الأسطورة بنظام ديني خاص، وتعمل على توضيح معتقداته للمعتقدين بها، بالغوص في صلب طقوسه، ويمكن أن تفقد الأسطورة خصوصيتها الدينية المقدسة، فتتحول إلى حكاية دنيوية مدنسة تُرْوَى لأغراض أخرى كالموعظة والحكمة دون أن تنسب إلى اليقينيات أو الحقائق الجذرية [2].

8- الأسطورة مخزون أساسي للرموز والصور الشعرية هذه الرموز التي يشكلها اللاشعور الإنساني الجمعي، الذي يعد مستودعا هائلا للرموز [3].

من خلال ما تقدَّم نخلص إلى أن الأسطورة من أكثر الأجناس الأدبية قداسة لارتباطها بمعتقدات الشعوب وترسيخ مبادئها وأفكارها منذ خلق الإنسان والتفكير في هذا الكون الفسيح ومظاهره.

خامسا: جمالية الأسطورة في الشعر:

تُعَدُّ الأسطورة سمة جمالية، وبنية متاهية، تنفتح على الفكر الإنساني، فتحدث خلخلة في البناء الأدبي، فهي تعبير شكلي عن الحداثة الجمالية، التي اعتمد عليها الشعراء المعاصرون، فجعلوا شعرهم يستوعب أدق أسرارها وتفاصيلها، فأصبح شعرهم

[1] – محمد الأمين بحري: الأسطوري والتجنيس والنقد، ص 98.

[2] – ينظر: فراس السواح: الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، ص ص 13-14.

[3] – محمد عبد الرحمن يونس: الأسطورة مصادرها وبعض مظاهرها السلبية في توظيفها، ص58.

يَرُومُ إلى معانقة الخلود، سعيا إلى الانحراف بالمعاني العادية الجاهزة للنصوص الأصلية وإكسابها إشارات مجازية تنم عن استيعاب الشاعر العربي للموروث الإنساني بشقيه العربي والغربي وهذا ما تجسد في عدة جماليات من أبرزها:

1-اتساع رؤية شعرائنا للعالم، وإحساسهم بماضيهم الحضاري، وإحساسهم بالوحدة الإنسانية [1]... فتكونت لديهم نظرة شاملة لقضايا مجتمعاتهم، فعبروا عنها بكل صدق وإنسانية موظفين عددا من الأساطير بمختلف أنواعها الدالة على تنوع رؤاهم الفكرية والثقافية.

2-يمثل الخيال أداة التشكيل الأولى في الشعر وفي الأسطورة، فهو العمود الفقري الذي يكشف عن وسائل التجسيد الشعوري والفكري في التجربة الشعرية العاكسة للحالة النفسية في رموزها الخاصة [2].

3-يستخدم الشعراء عادة الإطار الكلي للأسطورة، فيحافظ على معانيها الكلية أو يستخدم جزءا منها، فهناك من يوظف شخصية ما من الشخصيات الأسطورية مثلا اليونانية: كأوديسيوس أو بنيلوب أو سيزيف، وهذا في التعبير عن الرغبة الأولى في الرحيل وحب المغامرة، أو الحنين إلى الوطن والزوجة، أو وفاء الزوجة لزوجها الغائب، أو الشقاء الذي لا مخرج منه، أو يوظف معان كلية ويحور فيها أو يضيف إليها، كتوظيف أساطير الخلق أو غير ذلك من الشخوص والدلالات التي تستطيع الرؤية المعاصرة أن تكشفها [3].

---

[1] – أنس داوود: الأسطورة في الشعر العربي الحديث، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، (دب)، (دط)، (دت)، ص100.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص14.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص107.

4-استطاع الإنسان تخليد آثاره القولية في أعمال أدبية أسطورية مثلت النسق الأعلى من البيان «ولهذا فإن خصائص الصياغة الفنية في الأساطير، ومنحاها في التصوير والتشكيل، أهم ما يسترعي انتباه الشاعر المعاصر، ويلج به في عالم جياش بالشعر...حيث كانت الأمم الأولى تفكر بالشعر، وتتحدث أساطيره، وتكتب خطا هيروغليفيا، ويبدو أن الشاعر وصانع الأسطورة يعيشان في عالم واحد فلديهما موهبة أساسية واحدة هي القدرة على التشخيص، ولا يستطيعان أن يتأملا شيئا دون أن يمنحاه حياة داخلية، وشكلا إنسانيا» [1].

5- تتسم الأساطير من حيث الشكل بقدرتها على التشخيص المادي والمعنوي للمظاهر الطبيعية التي تمنح الطاقة الجمالية المكثفة للمعاني، فيصور الشاعر الحياة الداخلية لذاته القلقة والمتأزمة، فيرنو إلى إعادة التشكيل الإنساني لمعطيات الحياة، وهذا عبر اللغة الفطرية النفاذة، والصور البيانية القادرة على الإحاطة والكشف، وهذه القدرة الطليقة للخيال الإنساني على ارتياد عالم المظاهر الطبيعية والنفس البشرية -على السواء- هي ما يربط الشاعر المعاصر بأساطير الأقدمين و الأولين... [2].

يمكننا القول من خلال دراستنا لماهيَّة الأسطورة ومضمونها، أن كل المفاهيم التي وَرَدَّتْ سواء لمفهوم الأسطورة أو أنواعها تصب في بوتقة واحدة، وهي أن الأسطورة نتاج فكري لم يخرج عن فكرة تفسير وتأويل المظاهر الكونية والطبيعية، وانفرادها عن بقية الأجناس الأدبية بطابعها المقدس، فاتخذها الشعراء سمة جمالية، ووظفوها في أشعارهم توظيفا دُنْيَوِيًا مُدَنَّسًا، فيربطونها بحالاتهم النفسية واقعهم المعيش.

---

[1] – المرجع السابق، ص39.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

الفصل الثاني:

تجليات الأسطورة في شعر "إدريس بوذيبة"

أولا: الأساطير العربية:

1- أسطورة أوجاع الأزرق ملول.

2- أسطورة الطوفان.

3- أسطورة شهريار.

4- أسطورة طائر الفينيق.

6- أسطورة خطيئة آدم عليه السلام.

7- أسطورة المسيح.

ثانيا: الأساطير الغربية:

1- أسطورة بينلوب.

2- أسطورة سيزيف.

3- أسطورة أورفيوس.

من أبرز خصائص القصيدة الجزائرية المعاصرة منذ ظهورها، وعدولها عن القصيدة الجزائرية التقليدية الإتكاء على الرموز الأسطورية والتاريخية، فكانت أولى إهتمام الشعراء الجزائريين بابتكار «رموز أسطورية، سواء مستحدثة يلتقطها من الواقع أو تاريخية يستمدها من التاريخ الثقافي، والعمل على جعل تلك الرموز تستقطب جميع مفاصل النص الشعري وحركاته وتصهرها في قالب وحدة متناغمة» [1].

وقد اعتمد "إدريس بوذيبة" في شعره على مجموعة من الأساطير المتنوعة بين العربية والغربية، بالإضافة إلى تنوعها من حيث تصنيفاتها، وهو ما يدل على أن الشاعر يملك ثقافة واسعة ومرجعية تاريخية تعود إلى التراث الإغريقي والبابلي.

وسنعمل على إبراز هاته الأساطير باحثين في كيفية توظيفها وتجليها في قصائد الشاعر" إدريس بوذيبة".

أولا: الأساطير العربية:

كان ومازال التعامل مع الأسطورة جزءا من واقع شاعرنا المعاصر، وما يلفت الانتباه في القصيدة الجزائرية أو " الخطاب الشعري الجزائري المعاصر"– التأثر البارز– بنص الأسطورة العربية– ومحاولة إثرائها بدلالات جديدة تواكب العصر، ويُعَدُّ إدريس بوذيبة أحد الشعراء الأبرز توظيفا للأسطورة الجزائرية و العربية، ومن بين الأساطير التي اشتغل عليها الشاعر نجد:

[1] – محمد عبد الرحمن يونس: الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها، ص117.

1-أسطورة أوجاع الأزرق ملول:

يُقلب الشاعر "إدريس بوذيبة "صفحات الماضي من خلال قصة "الأزرق ملول"[*] . التي تحكي أسطورة وقعت في الماضي وذُكِرَتْ في التراث الشعبي الجزائري في منطقة الريف السطايفي وما جاورها.

فأصبحت قصة يُضرب بها المثل في المجتمع السطايفي فيقولون: «هذا زَدَّامْ كيما "لزرق ملُّول" »؛ أي «مقدام ولا يتراجع».

وتُحيلنا قصيدة "أوجاع الأزرق ملول" على متن مرجعي مهم ابتداء من العنوان الذي يُحيل على أسطورة شعبية من الشرق الجزائري بمنطقة سطيف التي يقطن فيها «مجتمع تقليدي يتميز اقتصاده بالطابع العائلي للاستغلال الزراعي والعائلة في هذا المجتمع وكل عائلة هي مجموعة من العادات والتقاليد» [1].

يستهل الشاعر قصيدته بمناجاة للطاعن ويطلب منه التوقف ويتعجب من الآلام والأوجاع التي مزقت قلبه في قوله:

---

[*] – لزرق ملول: هو السعيد بوطارة ابن الحاج بلحاج، ولد سنة 1909 من القرن الماضي بدوار ملول بلدية قلال حاليا وتوفي وسنه لم يتجاوز 45 سنة. شاب من عائلة غنية توفي والده وترك له أراض زراعية في حدود 400 هكتار رفقة شقيقيه مباركة وأحمد، تزوج ابنة عمه وأنجب منها خمسة أبناء، عاش حياة التَّرف فهو فارس شجاع كريم الخلق وذو جود وكرم، كان ملول يسافر إلى مدينة سطيف فتأثر بالحياة المدنية المترفة ، وكان يرتاد الحانات ويعاقر الخمر وفي إحدى الأيام تعرَّف "الأزرق ملول" على امرأة فائقة الجمال تدعى (مباركة بنت عيشوش) وقع في حبها ، وأصبح يرتاد على منزلها ويستضيفها في بيته بملول أمام أعين أهله وأبنائه وزوجته، كان ملول يصرف ماله على عشيقته وذلك ببيع الأراضي الزراعية والماشية وأجود الأحصنة، وفي يوم من أيام منتصف شهر ماي استضاف ملول عشيقته وجال معها الأراضي الزراعية المخضرة المليئة بالسنابل، فشاهدت آلة حصاد وتعجبت من أمرها فسألته وطلبت منه حصاد الزرع فما كان عليه إلى أن لبى الطلب، وكانت تستمتع وتتلذذ بالأمر فتحول حال ملول من رجل غني إلى رجل فقير.

[1] –عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1986، ص 15.

أَيُّهَا الطَّاعِنُ فِي فَلَواتِ الْوَجْدِ تَوَقَّفْ !

دَمْعُكَ مَزَّقَ قَلْبِي

وَرَمَانِي وَحِيدًا

فِي غَيْمَاتِ الْحُلْمِ الْمُحْتَشِدِ حَرِيرًا وَغُمُوضًا[1].

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن حالة الوَجْدْ وهي أعلى درجات الحب لدى المتصوفة، ففيها معاناة وزهد وألم وقتل للمغريات من أجل الوصول إلى المحبوب فيقول:

امْرَأَةٌ تُفَاجِئُنِي كلَّ يَومْ

وتَفْرِشُ لِي صَوْتَهَا والْخَلاَخِلَ عِنْدَ الْمَغِيبْ،

ثُمَّ تَأْخُذُنِي لِأَقَاصِي الهِضَابْ

وتُرْكِبُنِي مُهْرَةً منْ طُقُوسِ الْمَزَاجْ؟

ومَا بَيْنَ صَحْوِي ونَوْمِي

تَبْدأُ رِحْلَتَهَا فِي حُقُولِ الْبَهَاءِ الْجَلِيلْ

امْرَأَةٌ تُعَذِّبُنِي بِالْهَدِيلْ

وبِالْكُحْلِ والْغَنَجِ يَلْتَحِمَانِ فِي قَامَةٍ مِنْ نَخِيلْ[2].

فالشاعر يستحضر صورة المرأة التي أحبها وعشقها "الأزرق ملول"، فيصفها وصفا ماديا، فهي امرأة تتصف بالجمال والدلال والغنج، امرأة حسنة الصوت، و ذات وشم

[1] – إدريس بوذيبة: الظلال المكسورة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، ديسمبر 2008، ص25.

[2] – المصدر نفسه، ص 25.

بربري... ثم يذكر الشاعر علاقة "الأزرق ملول " بأرضه وارتباطه ارتباطًا وثيقًا بالحقول الزراعية التي كان يتجول فيها رفقة عشيقته.

ويُصور الشاعر في هذا المقطع الشعري العلاقة الوجدانية التي يعيشها مع المرأة باعتبارها رمزا للخصب والنَّماء والعطاء، فهي الأرض التي ينبع منها الخير، إنها صدى لحياة البواطن النفسية التي يعيشها الشاعر باحثا عن موطن الخير الذي يجسده الوطن بكل ربوعه.

من هنا يربط الشاعر أوجاعه بأوجاع الأزرق ملول ويستمر في ذكر آلامه في كل أجزاء القصيدة متسائلا عن حاله:

-أيُّهَذَا الهُمَامُ ...

أيُّهَذَا السَّعيد...

أيُّنَا؟....

هَلْ أَنَا؟....

وأَنَا ....

رَأْسِي يَرْكَبُ رَأْسِي

كَأْسِي يَمْلأُ كَأْسِي

وَجْهِي يَتَدَحْرَجُ مِثْلَكَ

فَوْقَ حَصَادِ الزَّرْعِ الْمَذْبُوحْ،

-أيُّهَذَا الأَزْرَقُ، يَا مَلُّولْ

كُنَّا نَبْكِي فِي قَارِعَةِ الشَّوْقْ

وَنُطَوِّقُ زِنْدَيْهَا بِعَنَاقِيدِ الدَّمْعِ الأَزْرَقِ [1].

فالشاعر في هذه الأبيات يتساءل عن وضع و حال "الأزرق ملول" كيف تغير وتحول من فارس شجاع سعيد بحياته، إلى عاشق ولهان يتجرع كأس الألم والضياع والخسران،وذلك بحصاد الزرع الذي لم يأت أوانه بعد بطلب من حبيبته، ثم يبكي و متذكرا حال حبيبته التي عاش معها أجمل اللحظات، فطوقها بعناقيد الدمع الأزرق وشبهها بالريح التي تأتي على حين غرة وبالمسك.

والواضح أن الصيغ الانشائية قد جسدت حالة التوتر التي تعانيها الذات، وعبر التكرار عن أزمتها الاغترابية فأضحى حالها وحال وطنها الجريح مقترنا بآلام وأوجاع الأزرق ملول.

من هنا يبكي الشاعر وطنه الذي عاش فترة عصيبة في أواخر الثمنينيات، في نظرة استشرافية تنبؤية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية التي آلت إليها الجزائر، فأدت إلى "العشرية السوداء" التي أحرقت الأخضر واليابس ودمرت القرى و المداشر، وقتلت الآلاف من الأبرياء، وأثكلت النساء ويتمت الأطفال.

ويتجلى التوظيف الجمالي الأسطوري لأسطورة "الأزرق ملول" في التقاطعات بين الذات الشاعرة وهو إدريس بوذيبة و الذات المُتَخَيِّلَة وهو الأزرق ملول وهذا عبر التركيب الجمالي والتوازي بين الدلالات المتناثرة هنا وهناك، وتحيلنا على ارتباطات التجربة الشاعرة بتجربة الواقع المرير الذي شهدته الجزائر في مسارها السياسي الذي اغتيل وأجهض قبل حصاد نتائجه مثلما حدث مع الأزرق ملول.

---

[1] – المصدر السابق، ص 27.

ويستدعي الشاعر شخصية شهريار من التراث العربي ليستخدم الأسطورة المركبة مما يَنِمُّ عن مقدرة إبداعية في قوله:

لَمْ نَكُ نَذْكُرُ غَيْرَ خُطَانَا

تَخْفِقُ فِي غَابَاتِ الحُلْمِ

كَأَفْئِدَةِ العُشْبِ المَذْبُوحْ،

وبَقَايَا وَجْهِ شَهَرَيَارِيٍّ ذَابِلْ

الْتَصَقَتْ عَيْنَاهُ

فَوْقَ ضَرِيحٍ مَنْسِيٍّ [1].

ربط الشاعر بين شخصيتين أسطورتين وهما: "شهريار" و"الأزرق ملول" فالأول كان متجبرا ومتسلطا وقويا يستضعف النساء ويأخذهن غنيمة عشقه للانتقام من كل أنثى، غير أنه استسلم لامرأة قهرت جبروته، أما الثاني فقهرته امرأة شهرزادية انتصرت عليه ليفقد كل شيء، بيد أنه استعاد ذاته ليعيش حياة بسيطة.

و يُواصل الشاعر في ذكر معاناة الأزرق ملول وحبه ويتمنى عودته إليه، كما يتمنى الشاعر أن يعود إلى وطنه الجريح الاستقرار والسلم والأمن والأمان، وذلك باستخدام رمز الرَّمَادْ، وهو يحيلنا على حكاية طائر الفينيق في الموروث الكنعاني الذي يحترق فيغدو رمادا، وفي اليوم التالي تتولد من رماده دودة، وفي اليوم الثالث تنبت للدودة أجنحة وفي اليوم الرابع يطير عائدا إلى وطنه الأم [2].

---

[1] – المصدر السابق، ص28.

[2] – عبد الهادي أحمد الفرطوسي: أقنعة هرمس للتأويل الأسطوري في الشعر، بغداد، العراق، ط2، 2012، ص69.

فالشاعر يعطي إشارات (الفجر، الشمس، الضوء، الغناء...) التي تُجسد مناخ الأمل والتَّحدي والعودة إلى الذات بعدما كانت في صراع بين الذات والواقع، كما تعبر صُوَرُهُ المختلفة عن المعاناة والصراع بين الذات والواقع، مما جعل تلك النصوص في عموميتها تعبيرا عن الضياع النفسي، وفي هذا يقول الشاعر:

والآنْ...

لِجِهَاتِ الْفَجْرِ

يَتَحَرَّكُ وَجْهُ الشَّمْسِ

فَضَاءً ضَوْئِيًّا

يُغْلِقُ أَبْوَابَ اللَّيْلِ،

وَيَمُدُّ الأَزْرَقَ مَلُّولْ

بِمَفَاتِيحِ الذَّاتِ

الأَزْرَقْ يَجْمَعُ أَشْتَاتَ الرُّوحِ،

ويُغَنِّي مَنْفِيًّا فِي خَطَرَاتِ الوَجْدِ

ويُغَنِّي لِشُمُوخِ القَمْحِ البَلْيُونِيِّ

يَسَاقَطُ وَسْنَانًا

كَالشَّفَقِ المَكْسُورْ

وَيُغَنِّي مَأْخُوذًا

بِشِرَاعِ تُفَّاحِيٍّ نَاعِمْ

يَثْقُبُ جُدْرَانَ القَلْبِ

يَثْقُبُ جُدْرَانَ القَلْبِ [1].

يُؤكد الشاعر على عودة الذات الضائعة "للأزرق ملول" بعد صراع اجتماعي ونفسي، إذ إن ضياع المكانة الاجتماعية (الثراء والهيبة والأسرة) أدى إلى ضياع الراحة النفسية، فالشاعر يتحدث عن تحدي "الأزرق ملول" بِطَيِّه صفحة الماضي الأليم ولَمْلَمَة شتاته، وغلق أبواب الحسرة والألم، ثم العودة إلى الأرض التي تمثل ماضيه وحاضره ومستقبله.

ويعتقد الشاعر أن أسطورة "الأزرق ملول" ترمز إلى بلده الجزائر الذي ضاع في حقبة زمنية معينة (سنة 1989) تميزت بالانفتاح السياسي وسبقتها أزمة اقتصادية (انتفاضة الخبز سنة1988)، حيث ضاعت كرامة الشعب الجزائري باحثا عن لقمة العيش.

2- أسطورة الطوفان:

تُشَكِّلُ الأسطورة مرجعا مهما للشعراء الجزائريين المعاصرين في التعبير عن قضايا أوطانهم وأُمَمِهِمْ العربية، وحالاتهم النفسية، إذ نجد الشاعر استلهم من التراث العربي أساطيره وجسدها في قصائده، وأعطاها روحا ونفسا جديدة تواكب العصر الراهن، ومن بين الشعراء الذين كان لهم نصيب من هذا التوظيف الشاعر " إدريس بوذيبة"، ومن بين القصائد التي جسدت هذا التجلي الأسطوري قصيدة " أناشيد رُؤْيَوِيَّة"، الذي يستلهم فيها أحداث وقائع الملحمة الآشورية الأسطورية " جلجامش".

أَنَلِيلْ يُصْدِرُ أَمْرًا بِالتَّخْرِيبِ وَبِالتَّدْمِيرْ

[1] – إدريس بوذيبة: الظلال المكسورة، ص31.

فَالضَحَكَاتُ الصَّافِيَّة

أَهَازِيجُ فَرحِ الطِّفْلِ

تَخْدُشَ صَفْوَ النَّومِ لَدَيْهِ

وتَفَشَّى الدَّاءُ وسَادَ القَحْط

وتَمَرَّدَتِ الأَرْضُ فَأَنْبَتَتِ الْمِلحَ

وَجَفَّ الْحَقْلُ فَلَمْ يُنْجِبْ غَيْرَ التِّيه

وَأَوْرَادَ الرَّمْلِ الشَّاحِب ....

وَتَحرَّكَ (آيا) فَزَعًا!

(أنليل) يُصِرُّ علَى التَّدْميرْ.

إنَّهُمُو البَشَرُ:

"أنَّى تَمْشِي تَلْقَاكَ وُجُوهَهُمْ الْمَلأَى بِالإزْعَاجْ

زَرَعُوا الأَرْضَ ضَجِيجًا

عَاثُوا فِي الأَرْضِ فَسَادًا بِالتَّعْمِيرْ

لَمْ نُخْلُقْ أَحَدًا عَبَثًا ؟"

مَا أسْوأَ يَا (أنليل) أنْ تَتَمَرَّدَ عَنْكَ أشْياء مَن صُنْعِكَ !..

تَحرَّك (آيا) فَزَعًا يُفْشِي السِّرَّ الأَعْظَمَ فِي الأَنْحَاءِ [1]

---

[1]– المصدر السابق، ص 70.

" هَدِّمْ بَيْتَكَ يَا (أُوتْنا بِشْتَمْ) قَبْلَ فَواتِ الوَقِتِ،

ابْنِ مِنْ قَصَبَاتِ السُّورِ سَفِينَةً

سَتُصْبِحُ هَذي الأَرْضُ غَيْر الأَرْضِ

وسَيُطْلِقُ (أنليل) أُمْرَهُ

بِالْكَسْحِ والسَّحْقِ ...

لاَ عَاصِمَ إلاَّ قَارِبُكَ الأَوحَدْ

منْ طُوفَانِ الرَّبِّ الغَاضِبْ[1].

إن هذا الاستحضار الجلي والصريح التام لأسطورة الطوفان له دلالات لا يمكن فهمها إلا من خلال ربط النص الشعري بالنص الأسطوري. حيث تتجلى " أسطورة الطوفان" في القصيدة تامة وصريحة عبر الرموز (أنليل[*]. وآيا وأوتنا بشتم)، فارتبط الرمز الأسطوري (إله أنليل)؛ بصورة إله يسعى إلى التدمير والتخريب وإلى فناء البشرية، في حين جسد رمز (إلهة آيا)؛ المعارضة للقرار التعسفي الذي صدر عن إله أنليل، أما رمز (أوتنا بشتم) ؛ فهو يعكس صورة الحامي والمنقذ للبشرية من الفناء، ونجد الشاعر قد تعدى الاستحضار الصريح للأسطورة عبر رموزها (آنليل، آيا، أوتنابشتم) إلى دلالاتها (الدار، القحط، الملح، الجفاف، الورد الشاحب الرمل، ...).

---

[1]– المصدر السابق، ص 71.

[*]– أنليل إله الأرض والهواء السومري .... أرسل الطاعون لتصرفات البشر الطائشة واتبعه بجفاف، وأخير أرسل الطوفان، ولكن إله (أيا) حذر الحكيم الذي أنقذ نفسه وحفظ الحياة البشرية ... فإن اسم ذلك الشخص (اوتنا بشتم) وتذكر الأسطورة بأن إله آيا حذره وأن الطوفان جاء باتفاق كل الآلهة ولم تكن من صنع أنليل وحده. (نقلا عن): آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، تر: سهى الطريحي، دار تبتنوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ، ط6، (د ت)، ص 24.

فهذه القصيدة تستعيد وتستلهم ملحمة جلجامش وتوظف شخصياتها بإسقاطها على الواقع المحلي في التسعينيات، الذي عصف بالجزائر بحثا عن الخروج من تلك المرحلة الطوفانية، التي نحتاج فيها إلى سفينة المنقذ (أوتنا بشتم)، والتي ستجري بنا إلى بر السلام، في حين نجد الشاعر قد استمسك بهذه الرموز الأسطورية المبشرة بقيم الحياة والمتمسكة بالخلاص (الإلهة آيا، الحكيم أوتنا بشتم) في مواجهة رموز الشر والفناء (الإله أنليل)، والملحوظ أن هذه الرموز فارقت دلالاتها المألوفة لتبحث عن دلالات جديدة ترتبط بالواقع المأساوي آنذاك.

وأما الحكيم (أوتنا بشتم)؛ فإنه يرمز للمنقذ والحامي للشعب الجزائري، الذي وصل به إلى برّ السلام ... بعد مرحلة عصيبة عاشتها الجزائر.

« فكل شخصية من هذه الشخصيات لها تجربتها الخاصة الواقعية، أو الممكنة ولكنها في الوقت نفسه تلخص وجها من وجوه التجربة الإنسانية الشاملة و الممتدة»[1].

والملاحظ أن القصيدة كتبت سنة 1980 قبل أحداث العشرية السوداء، لذا فإن الشاعر قد تنبأ بهذا الواقع المأساوي الذي ستؤول إليه الجزائر فيما بعد، فهو حامل لرؤيا إستشرافية تتصل بالمستقبل.

والحقيقة أن الشاعر أصاب في رؤياه وتحققت نبوءته، وما يؤكد قولنا هذا هو عنوان القصيدة الموسوم " أناشيد رؤيوية"؛ فالشاعر يرى ما لا يراه غيره يرى بعين المستقبل؛ فيتنبأ بوقوع الكارثة على الوطن وهو لا يكتفي في العنوان فقط بل يؤكده في قوله:

احْزَنْ أوْ لاَ تَحْزَنْ

[1]– عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضياه وظواهر الفنية و المعنوية، دار الفكر العربي، ط3، (د ت)، ص 204.

فَالسَّنَواتُ القَادِمَةُ

أَقْسَى سَنَواتِ العُمْر

وأَقْسَى منْ كُلِّ التَّأْويلاَت

ومِنْ كُلَّ أَقَاوِيلِ الصَّحُفِ الأُولَى

هَيِّئْ نَفْسَكَ !

لاَ يُفْجِئُكَ الْوَجْهُ القَادِمْ ...

انَّهَمُو آتُونْ! [1].

فالشاعر قد تنبأ بنبوءة الأنبياء أن الجزائر ستمر بمرحلة عصيبة وسنوات قادمة تدفع فيها النفيس والغالي وهي أقسى سنوات العمر، «إنها القوة الرؤياوية التي تستشف ما وراء الواقع، فيما تحتضن الواقع. أي القوة التي تطل على الغيب وتعانقه فيما تنغرس في الحضور، حيث تصبح القصيدة جسرا يربط بين الحاضر والماضي والمستقبل، الزمن والأبدية، الواقع وما وراء الواقع الأرض والسماء»[2].

3- أسطورة شهريار:

يُعَدُّ كتاب "ألف ليلة وليلة" أخصب المصادر لشاعرنا المعاصر وأغناها بالشخصيات، فقد تمثل شعراؤنا في قصائدهم هذه الشخصيات الأسطورية وعبروا بها على مضامين معاصرة، و" إدريس بوذيبة" من بين الشعراء الذين استلهموا من تراثنا العتيق أهم شخصياته.

---

[1]- إدريس بوذيبة: الظلال المكسورة، ص 65.

[2]- أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت ، لبنان ، ط3، 1979، ص138.

كُنَّا مُنْسَجِمَيْنِ تِجَاهَ حُدودِ الْقَلْبِ نَسيرْ

لَمْ نَكُ نَذْكُرُ غَيْرَ خُطَانَا

تَخْفِقُ فِي غَابَاتِ الْحُلْمِ

كَأفْئِدَةِ العُشْبِ المَذبُوحْ ،

وبَقَايَا وَجْهٍ شَهْرِيَارِيٍّ ذَابِلْ

التَصَقَتْ عَيْنَاهُ

فَوْقَ ضَرِيحٍ مَنْسِيٍّ

- نَخْتَفِي فِي الْبَرَارِي

نَنْضَوِي فِي الزَّمَن

نَكْتَسِي بِالكَلاَمْ،

نَكْتَسِي بِالمَطَرْ،

بِالأَسَاطِيرِ وأعْشَاشِ الْعَصَافِيرْ[1].

نرى الشاعر قد اشتغل على هذه الأسطورة، محاولا إعطائها دلالات معاصرة تخترق مضامينها المؤلوفة وتفتك منها مضامين حديثة، فكما يُعْلَمْ في أسمار ألف ليلة وليلة أن شهريار هو باعتبار ما ذلك السلطان الطاغية الذي يقتل كل فتاة، بعد أن خانته زوجته مع أحد عبيده – وهو لا يبقي على شهرزاد إلا لكي تكمل له قصصها التي كانت تحرص كل ليلة على بترها عند موقف مثير لتضمن أن يتركها السلطان إلى الليلة التالية لتكمل

[1]– إدريس بوذيبة : الظلال المكسورة، ص 28.

له القصة، و لكنه في نفس الوقت هو ذلك الإنسان الوديع الحكيم بعد أن هذبته شهرزاد بأقاصيصها وأحاديثها، وبعد أن ردت إليه ثقته في المرأة[1].

أما رمز شهريار في الشعر العربي المعاصر، فتراوح دلالاته إلى رمز القوة الغاشمة التي استطاع الحب أن يهذبها ويقلم أظافرها[2].

ويتقمص الشاعر في هذه القصيدة شخصية شهريار، ذلك السلطان العاشق لحكايات شهرزاد التي أَنْسَته آلامه وأحزانه وانتقامه من النساء بسبب الخيانة، ولكن الشاعر لم يفصح عن شهرزاده.

هل هي امرأة أُعْجِب الشاعر بقصصها مثله مثل شهريار، فاستودعها مآسيه ولياليه المضنية الطويلة، أم هي الوطن؟.

« وقد حاول بعض الشعراء، أن يضفي على شخصية شهريار دلالة نفسية خاصة إذ حاول الشاعر أن يعبر من خلال شخصية شهريار عن ذلك الأسى الدفين الذي يُعَانِيه... فالشخصية إذ لها ما يحتمل التأويل، وكل أديب يختار الملامح المتعدد للشخصية ما يتلاءم وطبيعة المضامين التي يريد نقلها إلى القارئ» [3].

4- أسطورة طائر الفينيق:

إن المطّلع على شعر" إدريس بوذيبة" يلمح تجلى ضمني لأسطورة " طائر الفينيق" حيث بنى الشاعر قصيدته الموسومة بـ: " أوجاع الأزرق الملول" على هذا النص الأسطوري، مشكلة نصا حداثيا بامتياز.

---

[1]- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1997، ص 163.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 162-163.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 164.

اِفْتَرِشْ هَدْبَهَا الوَرْدِيَّ

وأَقْوَاسَ الخُزَامَى،

وانْهَضْ مِنْ جَسَدِ الرَّمَادْ

واخْتَلِطْ بِعَنَاصِرِ جِسْمِهَا

فِي بَحَّةِ الصَّوْتِ، وأَشْلاَءِ الْحُقُولْ

سَتَلْقَاهَا عَائِدَةً إِلَيْكْ

طَيْرًا أَبْيَضَ

وَوَقْتًا جَاهِزًا

وَمَنَاخَاتٍ مُطَهَّمَةٍ بِأَسْرَابِ الْغَمَامْ[1].

فالطائر الفينيقي[*] سجل حضوره داخل النص الشعري ليشكل عوالم جديدة أباح بها الشاعر في هذه القصيدة.

---

[1]– إدريس بوذيبة: الظلال المكسورة، ص 30.

[*]– الفينيق طائر أسطوري اسمه الإغريقي Proinix، ويعني " الأحمر" أو " الملتهب" أو " المشرق" يعيش هذا الطائر في الصحراء الليبية والأثيوبية، لكن روايات أخرى ترد أسطورة الفينيق إلى أصول مصرية ... ، تمتد حياة هذا الطائر ليعيش عديد القرون وحيدا عائدا كلما هرم وشاخ إلى عشه لينشئ محرقة برفرفة جناحيه ولكن بعد احتراقه وتحوله إلى رماد ينبعث من جديد طائر فتيا كأجمل ما يكون ، أما الدلالات الرمزية أو الإيحائية لطائر الفنيق فتمثل أساسا في تعبيره عن شروق الشمس وغروبها تمثيلا للانبعاث المتعاود، لذلك مثل رمزا للتحولات الموسمية التي تحدث في الطبيعة، كما يعبر عن العود الأبدي لذروة الوجود، وبما أنه يتوفر على عنصري الذكورة والأنوثة فقد مثل رمزا للتوالد الذاتي والمتجدد. (نقلا عن): محمد الصالح بوعمراني: أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية، مكتبة علاء الدين، صفاقص، ط1، مارس 2006، ص 68.

وعند تتبع دلالات لطائر الفنيق الأسطوري المبثوثة في القصيدة، فإن الشاعر يستحضر هذه الأسطورة ليعبر بها عن التجدد والانبعاث لصور الحياة، ومع هذا التجدد للحياة يأتي يوم جديد ليعلن بداية جديدة، وذلك ما نجده في هذا الحقل الدلالي عن هذه البداية الجديدة وعن هذا الانبعاث: (الفجر، وجه الشمس، فضاء ضوئيا، يغلق أبواب الليل).

وذلك في قوله:

وَالآنْ ...

لِجهَاتِ الْفَجْرِ

يَتحَرَّكُ وَجْهُ الشَّمْسْ

فَضَاءً ضَوْئِيًّا

يُغْلِقُ أبْوابَ اللَّيْلْ[1].

ومن عذوبة ماقيل في هذا الصدد، نجد "عبد القادر فيدوح" يعبر عن هذه الأبيات فيقول:« وهكذا تأتي نبوءات الشاعر وعدا بالخلاص، وإيذانا بالبعث، يبدد الإحساس المزمن بالمرارة، وينفتح القلب على تشوف قزحي، يلون الدنيا بأفراح الطفولة، ويخصبها بحب الغمام و يُمْرِعُها يخضورا، حيث تورق أغصان الأمل، معلنة بشرى الولادة المنتظرة ومع أن التجربة الشعرية تختصر معاناة الكيان البشري، وتظهر تجربة الحياة التي تتكرر في بنية درامية بين رغبة الذات في التغير، وقصور الإرادة في التحرر من وطأة الواقع

[1]– إدريس بوذيبة : الظلال المكسورة، ص 30.

فإن غريزة التطلع والبحث في عالم أسمى تتنامى في أعماق هذه الذات، وتملي عليها مزيدا من الدهشة والمغامرة»[1].

إن تمسك الشاعر بأغصان الحياة وتَتَوُّقِهِ لواقع جديد تَدُّبُ فيه الحياة. كلها دلالات تم التعبير عنها من خلال أسطورة طائر الفينيق.

5- أسطورة خطيئة آدم عليه السلام:

من بين الأساطير الدينية التي وظفها الشاعر " إدريس بوذيبة" في قصائده توظيفا جليا أسطورة تفاحة آدم عليه السلام في قوله:

لَلَّذِي انْكَسَرَتْ نَجْمَةٌ فِي رُبَاهْ

للَّذِي قَدْ بَكَى فَوْقَ أَكْتافِ الصَّباحْ

للَّذِي ابْتَهَلَتْ شَفَتَاهُ لِوهْرَانَ البَهِيَّة

تُفَّاحَةُ آدَمَ الأُولَى

نَزْوَةُ الْعَطَشِ الأَزَلِي

أَرْخَبِيلُ البَلاَغَةِ

وهْرَانُ .... شَجَرُ الغِوايَةِ والْغَرَابَةِ

وهْرَانُ تَنْهَضُ فِي الْبُكَاءْ

وَهْرَانُ تَكْبُرُ فِي الْعَرَاءْ

[1]- عبد القادر فيدوح: معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، صفحات للدراسات والنشر، دمشق ، سوريا، ط1، 2012، ص 199.

تَسْتَضِيءُ بِطُوفَانِ الرُّعُودِ

وتَسِيرُ فِي وَرْدِ الحِدَادِ

تَتَعَاطَى خَوْفَهَا الْمَجْنُونُ [1].

ومن منا لا يعرف قصة آدم عليه السلام، إذ تُعَدُّ أحد أبرز الأساطير التي اشتغل عليها الشاعر في قصيدة " أنشودة الرخام" والتي فحواها، أن الله تعالى بعد أن خلق آدم وأمنا حواء " أمرهما أن يأكلا من جميع شجر الجنة ولا يقربا شجرة المعرفة، لأن إن أكلا منهما سيلحقهما الموت عاجلا أم أجلا، ولكن الإنسان يستعمل حريته في معصية الله خالقه ... ويأكل من الشجرة المحرمة بتحريض من إبليس الذي تسلل في هيئة حيَّة، فكان عقابه الطرد من الجنة إلى الأرض القاحلة، ليعمل فيها ويَكِدُّ من أجل لقمته، ومنذ ذلك الوقت ظهر الألم والمرض ودخل الموت في نسيج الحياة بسبب خطيئة الإنسان الأصلية"[2].

وكانت هذه المعصية، هي التي جعلته يخسر الخلود في دار القرار إلى دار الفناء ويُعَدُّ القرآن الكريم أبرز موظف للقصص القرآني ومن بينها قصة آدم عليه السلام وذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا

---

[1]– إدريس بوذيبة: الظلال المكسورة، ص 204 .

[2]– فراس السواح: الأسطورة والمعنى في الميثولوجيا والديانات المشرقية، ص 107.

فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾[1].

استحضر الشاعر "إدريس بوذيبة" خطيئة آدم عليه السلام، حينما أكل من التفاحة وقام بإسقاطها على الخطيئة التي اغتيل فيها الشاعر بختي بن عودة في العشرية السوداء سنة 1995 عن عمر يناهز 34 عام.

فخطيئة آدم عليه السلام التي خسر فيها الخلود في الجنة وأخرجته منها إلى دار الفناء هي ذاتها الخطيئة التي ألحقت الفناء بالشاعر "بختي بن عودة"، الذي راح ضحية غدر واغتيال، لكنها نقلته إلى جنة الخلود، وأما شجرة الغواية بالنسبة للشاعر فهي وهران في حين كان يوم موت الشاعر بختي بن عودة يوم حزن وأسى في وهران، وما يعكس هذا الحزن هو هذا الحقل الدلالي الذي وظفه الشاعر (البكاء، الحداد، العراء، الطوفان الرعود ...).

فالقصيدة المعنونة " بأنشودة الرُّخَام"، كانت عبارة عن إهداء وتذكار للشاعر بَخْتِي بن عُودة في قول الشاعر: (إلى عصفور وهران الشاعر الراحل بختي بن عُودة)، وهي مرثية للذات الأخرى التي طالها الفناء عبر ذلك الاغتيال المتكرر، وكأنه العود الأبدي للجريمة البشرية منذ البدء.

وتتكئ القصيدة على ما هو خاص في الجريمة لتعانق ما هو عام أي من الفردي إلى الجماعي، إنها رثاء للقيم المنهارة المشخصة، حيث جواز اغتيال الشاعر الذي يرمز للفجيعة والمأساة الإنسانية بأبعادها الوجودية المطلقة، وما ذلك إلا سياقا محتوما للقوى

[1]– سورة البقرة، الآية 34– 36.

المستبدة التي داست على الحياة، فسلبتها أثمن هدية منحاها الله للإنسان كي يصونها ويؤدي رسالة في هذا الوجود.

6- أسطورة المسيح:

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون الفسيح في ستة أيام وسلَّط مُلْكَهُ، فأوجد الجماد والحيوان والإنسان، الذي ميَّزه عن باقي المخلوقات بالعقل والتفكير والتدبير، فخاطبه برسل وأنبياء عدة لتبليغ رسالته، فما كان عليهم إلا الاستجابة والطاعة لأمر الله سبحانه وتعالى، فكانوا خير ناصحين ومرشدين لأقوامهم رغم ما لاقوه من معارضة وتصدٍ، فمن الأنبياء السيد المسيح.

لقد أورد الشاعر ضمنيا حادثة النبي عيسى عليه السلام في قصيدة " المدينة الوهم" حيث نجده يقول:

نَوَارِسُ كُلِّ المَوَانِئْ

بـ"جَانْ دَارْك" كُلَّ مَسَاء

تُقِيمُ مَآدِبَ لِلْحُزْنِ والإِنْتِحَارْ

عَلَى شَرَفِ العَالَمِ المُحْتَضِرْ

وأَقْبَلَ بِالصَّلْبِ ....بِالشَّنْقِ...

فَوْقَ جَدَائِلِك الُمسْتَبَاحَةِ

عَلَى أَنْ أَمَارِسَ بَوْحِي وَأَرْحَلْ!

أَمَا تَهْرُبِينَ

لِأَعْرِفَ شَكْلَكِ أَكْثَرْ... [1].

يتحدث الشاعر في الأبيات السابقة عن مدينة سكيكدة، المدينة الساحلية المعروفة بجمالها وطبيعتها الخلابة ومعالمها الأثرية التاريخية، فيذكر الشاعر معلما تاريخيا يجسد حقبة من الزمن الذي مرَّ على هاته المدينة "معلم جان دارك"، بالإضافة إلى أن النص يأخذنا إلى عوالم تراثية مقدسة دينيا، وهي قصة "سيدنا عيسى عليه السلام" في قوله: (وأَقْبَلَ بِالصَّلْبِ ....بِالشَّنْقِ...)، حيث «... ينظر الشعر إلى الكتب المقدسة، وإلى ما جاء فيها من قصص، وبخاصة ما ازدحمت به التوراة من حكايات مثيرة، وما فيها من قصص صلب المسيح من مثيرات فنية [...] إلى غير ذلك مما لا شك له بالمقاصد الأصلية لهذه الكتب، أو التحقيق التاريخي لبعض أحداثها كصلب المسيح أو عدم صلبه... فالنظرة هنا لا صلة لها بالقداسة الدينية، كما لا شأن لها، حين تتعامل مع التاريخ بالحقيقة التاريخية» [2].

فالنص الشعري يلتقي عند قطب دلالي واحد، يحيل إلى الآلام والعذاب، إلى الصَّلب والشَّنق، إلى شخصية السيد "المسيح عليه السلام" وما فيها من طيبة ورحمة وطهارة ونبل...الخ.

والشاعر يُقرن ذاته وحال مدينته، مدينة الحب والعطاء، التي يجتمع فيها الفقراء ويتقاسمون أحلامهم وأمانيهم جميعها، فأضحت مدينة تُقَامُ فيها مآدب الحزن والانتحار، وتتألم وتتعذب في صمت مثلما تعذب السيد المسيح الذي « يرمز إلى جملة من الرموز في إطار دلالات معينة صلة بالتطور الاجتماعي والحضاري الذي تمر به... كما دارت رموز المسيح وتمور والعازر في إطار فكرة البعث ... فكانت تعبيرا شعريا عما تعانيه

---

[1] – إدريس بوذيبة: أحزان العشب والكلمات، مطبوعات اتحاد الجزائر الكتاب الجزائريين، (دط)، (دت)، ص 27.

[2] – أنس داوود: الأسطورة في الشعر العربي الحديث، ص 92.

هذه المنطقة من إحساس بالركود وما تتوفر إليه رغبة في الانفتاح على العالم، وما تتوق إليه من حرية و تَقَدُّم» [1].

ويأمل الشاعر أن تنبعث مدينته من جديد، وتعرف طريق الخلاص للانفتاح والتقدم والرقي، شرط أن تعود إلى الشكل الذي كان يعرفها به.

وقد وظف الشاعر مفردات تدل على الجو النفسي والشعور بالحزن والألم على حال مدينته (الموت، الحزن، الانتحار، الشَّنق، الصَّلب، الألم، النيران...)، « فكل أجواء القصيدة وكلماتها تضفي على هذه الإشارات فيضا من الطبيعة والتلقائية، فالإشارة إلى الصَّلب غير بعيد عن جو المحنة النفسية للشاعر من جراء العذاب المستبد بني وطنه» [2].

ثانيا: الأساطير الغربية:

تُمَثِّلُ الأساطير الغربية منبعا ورافدا أدبيا جماليا للشعراء بمختلف توجهاتهم ورُؤَاهُمْ الإبداعية، يستخدمونها ويُجَمِّلُونَ نصوصهم الإبداعية الخاصة بهم، بأيقونات ورموز دالة على البحث الدائم عن المخالف لثقافاتهم، وهذا ماتمنحه الدلالات المكثفة للأساطير الغربية التي تعكس الطابع الإنساني والثقافي، فيسقطها الشعراء على واقعهم السياسي والاجتماعي والثقافي...

1-أسطورة بينلوب:

لقد كان ومازال التراث اليوناني منهلا عذبا للشاعر العربي المعاصر، وكثيرا ما يلجأ هذا الشاعر إلى رموز وشخصيات هذا التراث، التي تعكس جانبا مهما من قضاياه

---

[1] – المرجع السابق، ص 253.

[2] – المرجع نفسه، ص246.

الوطنية أو القومية أو حتى تجاربه الذاتية، فنجد الشاعر "إدريس بوذيبة" كان له نصيب من هذا التوظيف والذي تجلى في قصيدته الموسومة "بِظِلَالِ الدَّمْعَةِ والنِّسْيَانِ":

يَاحَنِينَ الرُّوحِ لِهُتَافُاتِ الرَّبَابَة

بِينلُوبْ تَمْتَطِي الْبَرْقَ،

وَتَسْخَرُ مِنْ وَطَاوِيطِ الإِمَامَةِ

فَالحُبُّ يَنْقُرُ قَلْبَهَا

بِارْتِعَاشَاتِ الْعَلاَمَة

افْتَرِشْ قُمصْانَهَا البِيضْ

اغْتَسِلْ فَوْقَ المَرَايَا

اخْتَرِقْهَا بِسَكَاكِينِ الظَّمَأْ [1].

يُعَدُّ التراث اليوناني منهلا خصبا لشاعرنا المعاصر، فما كان على الشاعر إلا أن يرحل إليه، ويستدعي منه بعض شخصياته ورموزه الأسطورية، كما مع شخصية "بينلوب" فـ« "بينلوب" ظلت تنقض ما تغزل، والزمن يمضي، ولكنها لم تفقد الأمل في عودة أوليس ومهما تقدم بها السن، وفقدت زهرتها–نضارتها– فإنها قد علقت حياتها على خيط من الأمل في عودته، وهي على كل ما ألم بها من ضيق وتعرضت له في الوقت نفسه من الإغراء ظلت متعلقة بذلك الخيط الواهي» [2].

[1] – إدريس بوذيبة: أحزان العشب والكلمات، ص 117.

[2] – عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص210.

تُعَدُّ " بِينِلُوبْ" رمزا للوفاء والإخلاص والصبر، فهي ظلت تنتظر أُولِيسْ عشر سنوات، ورفضت الخُطَابَ الذين تقدموا لخطبتها كلهم، واحدا تلو الآخر وفاء لزوجها.

وقد وظف " إدريس بوذيبة" "بينلوب" رمزا لصورة الأوطان العربية التي تعاني من الانكسارات والضياع وفقدان هويتها، إذ «ركز في مقاطع القصيدة على شخصيات تراثية أسقط عليها همومه كشخصية "بنلوب" الرامزة للأمة العربية الفاقدة لشخصيتها، والتائهة في المجهول» [1]، وترمز في الوقت نفسه إلى الجزائر التي ستدخل عشر سنوات من الزمن في فوضى وضياع وانكسارات، فمثلما صبرت بينلوب طويلا (مدة 10 سنين) فإن الوطن الحبيب سيصبر على هذا، وسوف يمتطي البرق متحررا من أزمة هذه الفترة العصيبة– كما يسافر البرق في ثوان عديدة– فينجو إلى برّ الأمان.

2–أسطورة سيزيف:

تُعَدُّ أسطورة "سيزيف" أحد أبرز النصوص توظيفا في الشعر العربي المعاصر، لما لها من جوانب مهمة في تجسيد الوضع الإنساني من ظلم وجور واضطهاد، وهذا الشاعر "إدريس بوذيبة" يعكس تلك المعاني السيزيفية في قصيدته "حالات"، لما يحمله من ثقل هموم أُمَّتِهِ:

مُنْدَلِعًا كَالنَّارِ،

كَالمُدْيَةِ أَقْطَعُ لَحْمَ الْوَرَقِ الشَّاحِبِ

والْورَقِ الْعَائِمِ فِي قَنَواتِ الإرْثِ المُحْبَطْ

مُنْتَشِرٌ كالرِّيحِ،

كَالأَوْراقِ الهَارِبة

[1] – إدريس بوذيبة: الظلال المكسورة، ص 21.

أسْرَابًا مِن أَغْصَانِ الرُّوحِ

أَتَبَرَّأُ مِن لُغَةٍ خَانَتْ مَلامِحهُا

وبَاعَتْ صَهِيلَ الحُرُوفِ

أَتَكَوَّرُ خَارِجَ مِقْصَلةِ الْعَسْفِ

حَانَ مَجِيءُ غُبَارِ الْحَرَائِقِ [1].

استطاع الشاعر أن يشتغل على أسطورة سيزيف[*] ويوظفها توظيفا مضمرا من خلال آلية التفتيت،فقد تفاعل معها بشكل فني واعٍ، محملا لها مضامين معاصرة تتطابق مع الواقع.

وتوظيف رمز سيزيف دلالة على العبثية واللاجدوى[**].« ويوظفونها الشعراء ليرمزوا بها المعاناة الأبدية »[2]، فسيزيف هو الذي يعاني في صمت ويتجرع الآلام والشقاء الذي

---

[1] – المصدر السابق، ص ص 93–94.

[*] – سيزيف هو ابن الإله أبول محرك الرياح، مؤسسا لحديثه كورنيث، وما كان في أقاليم اليونان من يضاهي سيزيف في المكر والدهاء، فقد تمكن بفضل دهائه أن يجمع لنفسه من الأموال ما يعد ولا يحصى، ولما نزل "تاتات" ليقبض روحه تمكن من خداعه وتقييده بالسلاسل ، ولما انقطعت احتفالات التأبين والدفن عن الأرض وزالت على الأرض خلص أريس (إله الحرب) تاتات وانتزع روح سيزيف وحملها إلى مملكة أشباح الموتى، ولكن سيزيف تمكن من خداع هاديس مالك أرواح الموتى، بأن يعود إلى الأرض ويأمر زوجته بتقديم القرابين، ولكن سيزيف لم يعد فغضب هاديس فأرسل ملك الموت ثانية ليجيء بروحه لتبقى خالدة في العالم السفلي، وعوقب سيزيف بأن يرفع صخرة إلى قمة أعلى جبل وما أن يكاد يصل حتى تتدحرج إلى الأسفل، ينظر: عماد حاتم: أساطير اليونان، دار الشروق العربي بيروت، لبنان، ط3، 2008، ص191.

[**]– العبثية واللاجدوى هو أنه ما يفعل وما يعمل الإنسان يبقى عبثا وبلا جدوى ولا يكلل بنتيجة كسيزيف الذي يحاول عبثا أن يرفع الصخرة إلى قمة الجبل.

[2] – جمال مباركي: التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، (دط)، (دت)، ص 225.

يصيبه، وهذا صورة لواقع الإنسان الحالي الذي يحمل على كاهله ذلك الشقاء السيزيفي وبؤس الكون الذي يضنيه.

فقصيدة حالات هي استقراء للذات المقهورة في تحدياتها وأحزانها وأوجاعها، وكذلك ردود أفعالها وعلاقاتها مع محيطها المحلي والكوني، إنها ومضة وبارقة للتفاؤل المنفلت من رحم الألم، إنها حكاية الإنسان في صراعه الأبدي لصناعة ملحمة الصمود في مواجهة حالات الضعف والخذلان، وهي تلك حالات الذات المتقلبة الحزينة غالبا مبتهجة أحيانا.

«ذلك أن الشاعر يجسد لنا موقفا معاصرا مماثلا الأسطوري، وهو تحمل عبء الثقل والإصرار على المواجهة كي يعيد للحياة صورتها الطبيعية بعد أن مسها الشحوب والذبول، عن طريق نشر السلام والمحبة والوئام متبرئا من أمته التي لم تحافظ على آصالتها وباعت مجدها وعزها» [1].

وتُعَدُّ قصيدة حالات من أنجع القصائد توظيفا للنص الأسطوري السيزيفي وهذا ما أكده الدكتور "جمال مباركي" في قوله: « ويبدو لي قصيدة (حالات) للشاعر إدريس بوديبة من النصوص الناجحة في توظيف أسطورة سيزيف توظيفا فنيا، اعتمد الشاعر في كتابتها على امتصاص روح النص الأسطوري، دون أن يشير من قريب أو من بعيد إنه يتفاعل مع نص غائب» [2].

وهكذا يبقى النص السيزيفي قِبْلَةَ كلَّ شاعر معاصر، يجد فيه صورة لواقع أليم يُضْنِيهِ ويُضْنِي أُمَّتَهُ، ومن هنا يصبح النص السيزيفي بنية يقوم عليها الشعر المعاصر.

---

[1] – المرجع السابق، ص230.

[2] – المرجع نفسه، ص نفسها.

3- أسطورة أورفيوس:

إن المتتبع للتاريخ البشري عبر العصور والأزمان يجد أن هناك صلة وثيقة بين الإنسان والبيئة والطبيعة والحياة ، فبفضل هاته العناصر تجسد فكر إبداعي أسطوري له صلة وثيقة بالفكر والدين واتصف بالقداسة.

(أحزان العشب والكلمات) هو عنوان لقصيدة، تقع ضمن مجموعة شعرية (ديوان) "أحزان العشب والكلمات"، وقد اخترنا هذه القصيدة لدراستها وتحليلها انطلاقا من الكشف عن مظاهر تجلي الأسطورة في شعر "إدريس بوذيبة" «باعتبار أن الأسطورة: لغة رمزية أو مجموعة من الرموز التي تعبر عن الوجود الإنساني وتاريخيه المقدس »[1].

إن القارئ لقصيدة "أحزان العشب والكلمات" يدرك بداية من عنوان القصيدة أنها تحمل دلالات الحزن والألم والأوجاع التي تتجلى في أسطورة أورفيوس رغم أن الشاعر لم يصرح باسم الشخصية الأسطورية، ولكن بعد التدقيق والتمحيص في مضمون القصيدة نلحظ بعض الإشارات الدالة على أن الشاعر وظف أسطورة أورفيوس من خلال الأبيات الشعرية الآتية:

تَهْرَبُ ذَاتِي منْ ذَاتِي

شَتَاتٌ يُبَعْثِرُنِي ويَجْمَعُنِي لِشَتَاتٍ

دَمِي يَنْسَاحُ في الْوَجعِ وفِي الكَلِمَاتِ

للْوَرْدِ العَابِقِ أحْرِقُ نَذْرِي وسَاعَاتِي

للْخَصْرِ الرَّاحِلِ أَسْفَحُ شِعْرِي وحَالاَتِي

---

[1] – محمد الأمين بحري: "سيمياء الأسطورة في الرواية الجزائرية المعاصرة"، الملتقى السابع للسيمياء والنص الأدبي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، أكتوبر 2013، ص 485.

فَكُونِي يَاعُرْوَةَ الْحُلُمِ ظِلِّي وَمَرْسَاتِي

فَأَنَا مَشْنوقٌ فِي أَوْقَاتِكِ

كَالأُفْقِ النَّازِفِ بِالأَنَّاتِ

ثُم يَقُول:

وَطَنٌ تَصَادَرَ،

وطَنٌ تَنَاثَرَ فَوْقَ أَكْتَافِ الرِّيَاحِ

بَحَّتْ أَوْتَارُ قِيثَارِي الصَّادِحْ[1].

وجد الشاعر في أسطورة " أورفيوس" رمزا للتعبير عن نفسه وخلجاته وآلامه "فأورفيوس" الذي يمثل رمزا لِلْوِحْدَةِ والمعاناة والحب والوفاء بالإضافة إلى أنه سحر الناس والجماد بصوت قيثارته. فالسؤال الذي يطرح نفسه كيف وظف الشاعر هذه الأسطورة؟ هل هناك تطابق بين الأسطورة والقصيدة أم هناك اختلاف بينهما؟

إن الشاعر المعاصر يتخذ عدة أساليب لتوظيف الأسطورة، وذلك حسب مواقفه وإيديولوجيته، فهناك من يستدعي شخصيات تراثية، أو يستمد بعض الملامح الأسطورية أو ينهل من مصادر فلكلورية وهذا ما نبّه إليه " علي عشري زايد" «بأن المسالك الثلاثة التي استخدمها الشاعر المعاصر في الموروث الأسطوري وأولها: استدعاء الشخصيات التراثية بلجوء الشاعر إلى أساطير إغريقية وبابلية وفينيقية. أما الملك الثاني فهو استمد بعض الملامح الأسطورية من المصادر التراثية الأخرى كما المصدر الديني كمدينة "إرم" الأسطورية وقصة "يأجوج ومأجوج"، والمصدر الفولكلوري كأبطال يحملون ملامح أسطورية كالسندباد وعلاء الدين وسيف بن ذي يزن ...» [2].

---

[1] – إدريس بوذيبة: أحزان العشب والكلمات، ص101-105.

[2] – رجاء أبو علي: الأسطورة في شعر أدونيس، ص149.

وقبل الشروع في البحث عن تجلي أسطورة أورفيوس[*] في القصيدة يحسن بنا التَّعَرُف على أحداث هذه الأسطورة.

فالشاعر لم يعارض الأسطورة وإنما حافظ على الأحداث نفسها، ويتجلى ذلك من خلال الأحداث التي وقعت لأورفيوس، فهناك كثير من الدلالات والكلمات مثل (شتات

---

[*] – أورفيوس (Orpheus) كلمة مشتقة من الفينيقية Aour أي النور وRophal أي الشفاء فيصبح معناها (الشافي بالنور)، (نقلا عن): رجاء أبو علي: المرجع السابق، ص201. تعود أسطورة أورفيوس إلى الأساطير الإغريقية والرومانية، وهو موسيقى، كانت موسيقى صوته وقيثارته من العذوبة فتتبعه الحيوانات والأشجار والأحجار وتتوقف الأنهار عن الجريان كي تستمع إليه، تزوج من حورية الغابات "أورديوس" التي هام بها، وبينما كانت "أوريديوس" تجمع الأزهار كعادتها، أرسل "أريستايوس" ثعبانا ليكدر سعادتها فدس سُمَّهُ فيها فماتت، فعلم "أورفيوس" بموتها فحزن وأصبح يعزف ألحانا حزينة شجية يُسْمِعُ بها أهل القرية والحيوانات والطيور، فشاركته حزنه فقرر أن ينزل إلى العالم السفلي فأخذ أورفيوس يعزف ألحانه للتأثير على شارون وحارس البوابة سوربيروس(Cerberus): كلب ذو ثلاثة رؤوس يحرس مدخل هاديس لمنع الأحياء من الدخول، نجح أنياس وأروفيوس واوجيسيوس في المرور عندما زاروا هاديس، تغلب هرقل عليه في آخر أعماله، وحمله إلى مسينا، لكنه عاد فيما بعد إلى العالم السفلي. (نقلا عن): ماكس اس، شابيرو روداهند ريكس: معجم الأساطير، تر: حنا عبود، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ط3، 2008، ص 71، فما كان على أورفيوس إلا أن يعزف بقيثارته ألحانه في اللحظات الأخيرة بعدما كان يستسلم ويعود من حيث أتى، سار أورفيـــوس بين الأشـــباح ووصل إلى الـــعالم السفلي ملـك هاديس**(Hades):** حيث تستقر أرواح الموتى، خطف برسيفوني وجعلها ملكة عالم الموتى، يسميه الروماني بلوتو، وقد توحد مع ديس، وزوجته برفسيوني (Persephone): ربة الربيع وابنة زيوس وديمتر إذ كانت تلتقط الأزهار من الحقل في صقلية، خطفها هاديس إلى العالم السفلي وجعلها زوجته وملكة العاللم السفلي، وانقسمت السنة إلى فصول النمو وفصول الحصاد وفصول الشتاء، ينظر: المرجع نفسه، ص206. اللذان اندهشا من وجود شخص في عالم الموتى، فدار حوار بينهما عن سبب مجيئه، فعزف أورفيوس ألحانا عذبة حزينة وقرر هاديس مساعدة أورفيوس في استعادة زوجته شرط أن لا يحدثها أو ينظر إليها، وكان هاديس قد أرسل هاميز ليتأكد من عدم الإخلال بالشرط، لم يطق أورفيوس صبرا لرؤية حبيبته فرمقها بنظرة خاطفة، وبذلك أعيدت أوريدوس إلى عالم الأموات، جلس أورفيوس سبعة أيام بجانب النهر وكان يائسا حزينا وأخذ يغني شاكيا حزنه للأشجار والصخور، وقرر اعتزال النساء وغدق الأطفال الصغار بحنانه، وفي أحد الأيام تعرضت النساء لأروفيوس وأردن إغواءه إلا أنه رفض كل محاولاتهن فتهجمن عليه وأردن معاقبته، فازداد غضب النساء وقررن قتله وتمزيقه فألقوا برأسه وقيثارته في النهر، فطافا على سطحه وعزفت أعذب الألحان، فأعلنت جميع المخلوقات حزنها عليه، وصلت قطع جسد أورفيوس إلى جزيرة وعثرت عليها إحدى ربات الإلهام جمعت جميع أطرافه ودفنتها قرب جبل الأولمب.جبل الأولمب(Olympus Mt): قمة شاهقة تغطيها الغيوم في تيساليا، موطن الآلهة الكبرى للبانثيون اليوناني، (نقلا عن): المرجع نفسه، ص 194، حُوِّل رأس أورفيوس إلى صخرة من قبل والده كما توسل أبولو لزيوس، أما الباخيات اللواتي قمن بجريمتهن أردن الاغتسال في النهر من آثار دم أورفيوس ، فقرر ديسيوس بمعاقبتهن وتحويلهن إلى أشجار البلوط.

يُبَعْثِرُنِي/ دَمِي يَنْسَاحُ/ مَشْنُوق...) التي تُحيلنا إلى موت أورفيوس وقطع رأسه وتمزيقه من طرف البَاخِيَات « أما رأس أورفيوس فهو محور التحول الذي اندلعت منه دلالات التكثيف النصي، وهو المكون البنائي الذي اشتبك مع الواقع، بل ذاب فيه وتداخل بصوره التعيسة طامحا بولادة جديدة تكونت من نطفة الرحم الحالم الجسور»[1].

فالشاعر يرى أن حادثة قطع الرأس لأورفيوس وتمزيقه وتشتيته تُعَدُّ قطعا للفكر والإبداع، فالعقل هو منارة الإنسان إلى الرشاد أو الذي يقود إلى الضياع والضلال، فمن خلال عنوان القصيدة "أحزان العشب والكلمات" تحيلنا لفظة " الكلمات" إلى الشعر والكتابة والإبداع. وأما لفظة العشب فتحيلنا إلى الوطن وعناصره من ماء وهواء وتراب...

يُجسد الشاعر في قصيدته حوارا بينه وبين النساء الأربع، مثلما حدث مع أورفيوس فكل واحدة تعرض موقفا، فالأولى أردات أن تملأ دربه بَلُّوْرًا، أما الثانية فتحدثت عن الشعر، والثالثة تدعوه إلى النسيان والرحيل، أما الرابعة فتطلب منه اغتيالها أو ستغتاله.

قَالتْ:

أَقْدِرُ أنْ أمْلأَ دَرْبَكَ بَلُّورًا ولآلِيءَ، لَكِنِّي ...

قَالَتْ:

أَدْمَتْ نَارَ الشِّعْرِ شِفَاهَكَ، هَلاَّ...؟

قَالَتْ:

اِنْفَضْ عَنْكَ غُبَارَ الذِّكْرَى الْحَامِضِ، وَارْحَلْ!

قَالَتْ:

[1]– رجاء أبو علي: الأسطورة في شعر أدونيس، ص209.

إِنْ لَمْ تَغْتَلْ وَجْهِي، فَسَأَغْتَالُكَ يَوْمًا مَا ![1].

الشاعر يُوافق على اغتيال جميع كلمات العشق والكلمات الفارغة العَقِيمَة، ويرفض أن تُغتال الطبيعة بكل عناصرها (ضفاف الأنهار، العشب، الربوة، الأشجار ....)، وهو يرى أن اغتيال الكلمة يكون من طرف السلطة الحاكمة التي كانت تعاقب كل من ينتقد أوضاع البلد السياسية والاجتماعية، فكانت تقمع كلَّ مثقف وصحفي وكاتب وتغتال كل من يتكلم، إلا أن الشاعر يرفض رفضًا تامًا اغتيال الوطن بكل إمكاناته ومقوماته.

ويُلَمِّحُ الشاعر في الأبيات الآتية إلى أسطورة "أورفيوس" من خلال بعض الألفاظ والدلالات:

وَطَنٌ تَصَادَرَ،

وَطَنٌ تَنَاثَرَ فَوْقَ أَكَتَافِ الرِّيَاحِ

بَحَّتْ أَوْتَارُ قِيتَارِي الْصَّادِحِ

وتَسَلَّقَ جُرْحِي نَدَمِي

صَوْتِي يُنْكِرُ صَوْتِي

مَوْتِي يُقَاتِلُ مَوْتِي

بَوْحِي يَفْضَحُ بَوْحِي

جُرْحِي يَنْكأُ جُرْحِي[2].

---

[1] – إدريس بوذيبة: أحزان العشب والكلمات، ص103.

[2] – المصدر نفسه، ص106.

يُصور الشاعر حال وطنه الذي تَصَادَرَ وتَمَزَّقَ، «إن الواقع الجزائري الحديث سادته صراعات وتطاحنات، أي هزات مختلفة سياسية كانت أو دينية اجتماعية ولما لا فكرية... انعكست سلبا على الحياة الاجتماعية، تركت المجتمع الجزائري، يَرْزَحُ في مجاهل التفكك والتخلف، فانتشر الظلم والقهر والاستبداد والاستيلاب»[1].

وظف الشاعر في الأبيات الآتية لفظة "رُدِّي" بصيغة الأمر والطَّلب، فطلب من المرأة أن تَرُدَّ له العديد من الأشياء.

يَا امْرَأَةً !

رُدِّي لِلنَوْرَسِ بَحْرَهُ

رُدِّي لِلْعُشْبِ يَقِينَهُ

رُدِّي لِلتَّائِهِ دَرْبَهُ

رُدِّي لِلْفَجْرِ خُيوطَهُ

رُدِّي لِلشَّاعِرِ صَوْتَهُ

فَغُيُومُ نِدَائِي سَتُورِقُ فِي غِيَابِكِ أُفْقًا

وَسَيُورِقُ دَرْبَ حُضَورِكِ بَعْدِي شَوْقًا[2].

إن عنصر الحركة طاغ على المساحة اللغوية للنص عبر سيطرة أفعال الأمر فالشاعر يخاطب وينادي المرأة بأن تُعيد(البحر، والعشب، والدَّرب، والخيوط، والصوت)

---

[1] – أحمد العياضي: القيم الجمالية في الشعر الجزائري المعاصر 1975–2000، أطروحة دكتوراه ، قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة– الجزائر، 2013–2014م، ص131.

[2] – إدريس بوذيبة: أحزان العشب والكلمات، ص106.

لكل الموجودات والكائنات من حيوان ونبات وإنسان، فذات الشاعر ستعود يوما ويُرَدُّ له صَوْتَّهُ، وستبقى المرأة ذكرى متلونة بألوان الشَّوق والحب.

من خلال ماتقدَّم نلحظ أن الشاعر "إدريس بوذيبة" وظف أساطير عربية وغربية متنوعة، فأدى هذا التنوع إلى خلق لوحة شعرية جمالية،جعلت النص الشعري منفتحا على دلالات ورموز جديدة،وذلك من خلال فكرة البعث بعد الموت (طائر الفينيق،المسيح المصلوب..) وفكرة المعاناة والضياع النفسي (أسطورة سيزيف والأزرق ملول وأورفيوس..)، فأسقط الشاعر معاني هاته الأساطير على الذات الشاعرة والوطن آملا في غد مشرق يسوده الأمل والحب والسلام والحرية والإبداع.

الخاتـمـــة

في ختام هذا البحث الذي خصصناه لدراسة تجليات الأسطورة في شعر "إدريس بوذيبة"، والذي يسعى للكشف عن أثر الأسطورة في مدونة "الظلال المكسورة "التي حاولنا من خلالها معرفة كيفية تجلي الأسطورة.

لقد أبرز لنا البحث استنادا إلى فصوله السابقة أن:

1-الأسطورة هي نتاج جماعي، ومصدر تساؤل وحيرة ومعرفة للإنسان منذ الأزل ومحاولة فهم وتفسير ما يدور حوله من مظاهر طبيعية.

2-لقد وقفت الدراسة عند أهم أنواع الأساطير المختلفة منها: الأسطورة الكونية والتعليلية والحضارية... وكل نوع حاول تفسير الظواهر الطبيعة انطلاقا من تساؤلات الإنسان.

3-لم تقتصر نشأة الأسطورة على الآداب الغربية وإنما الأدب العربي عرف نماذج أسطورية غير كاملة ويعود ذلك لأسباب عقائدية خاصة في صدر الإسلام، فلا يمكن للعربي أن يلتفت إلى الأساطير لأنها منافية لكل ما هو مقدس.

4-تميزت الأسطورة بجملة من الخصائص التي انفردت بها عن باقي الأجناس الأدبية من أبرزها: أن الأسطورة لها أهداف تفسيرية لمظاهر الكون وأهداف تعليمية تربوية اجتماعية.

5-تجاوز الشاعر توظيف الأسطورة على مستوى البنية السطحية ليكون في شعره توظيف على مستوى البنية العميقة ليخدم الرؤية الفكرية والفنية في الآن ذاته.

6-استخدام الشاعر "إدريس بوذيبة" للأساطير العربية و تغليبها على الأساطير الغربية في ديوانه، فيدل على انتمائه للثقافة والحضارة العربية ومقدرة التراث العربي على تجسيد أفكار الشاعر.

7-تعامل الشاعر"إدريس بوذيبة" مع الأسطورة لم يكن قائما على التقليد والمحاكاة حيث أنه استلهم أساطير من التراث اليوناني الإغريقي فلم يصرح بها، وإنما كان بصورة ضمنية.

8-استدعى الشاعر شخصيات تراثية كرموز(شهريار، جلجامش، سيزيف،...) وإعطاء دلالات جديدة للتعبير عن الذات الشاعرة والواقع الذي تعيشه والتجارب التي خاضتها.

9-اعتمد الشاعر على أسلوب الإيحاء والتلميح في بعض قصائده ليكسبها بعدا رمزيا مليئا بفيض من الدلالات والإيحاءات، وطاقات تخيلية ثرية، كما كانت لغته الشعرية راقية وجميلة ومكثفة.

10- أشار الشاعر من خلال بعض النماذج الأسطورية إلى معادلة الصراع بين المثقف والسلطة.

11- حضور بعض النماذج الأنثوية في شعر "إدريس بوذيبة " وكيفية تأثير الأنثى على الذكر مثل: المرأة التي عشقها "الأزرق ملول" في قصيدة "أوجاع الأزرق ملول" وشخصية "بينلوب" في قصيدة "ظلال الدمعة والنسيان"، فأعطى نموذجين مختلفين: فالأولى كانت امرأة عشيقة ومتهورة ومتسلطة ومستبدة، أما الثانية فكانت وفِيَّة ومُحِبَّة ومخلصة لزوجها.

12- يطرح الشاعر في قصائده "أوجاع الأزرق ملول" و "ظلال الدمعة والنسيان" العديد من الأفكار ، فيوظف المرأة في نقل مشاعره إزاء وطنه ، فالمرأة تُمثل عشقا أبديا، عشق الذات،عشق الحياة، فيجعل المرأة وسيلة تكون وَسِيطًا بين ذاته الشاعرة و بين الحقائق التاريخية، فيمزج ماهو ذاتي بما هو موضوعي.

13- تُمثل سكيكدة الحيز المكاني والزماني، و الرقي الحضاري وجمال معالمها السياحية و التاريخية، ثُمَّ كيف آَلَتْ إليه سكيكدة لتُمثِّل مدينة الحزن و الانتحار ومدينة الوهم، لتأخذ سكيكدة البعد التاريخي و الرمزي و الأسطوري من خلال أسطورة المسيح.

ملحق

نبذة عن حياة الشاعر:

ولد الشاعر" إدريس بوذيبة" بمدينة سكيكدة يوم 27 نوفمبر سنة 1959م، شاعر وروائي و قاص وناقد، تعلَّم بالكتاب والتحق بالمدرسة الفرنسية، تخرج من جامعة قسنطينة تخصص أدب عربي، شغل مديرا لدار الثقافة بمدينة عنابة وقسنطينة وسطيف، وعضو اتحاد الكتاب الجزائريين و مجلسه الوطني سنة 1997م.

أعماله:

– لدى شاعرنا عدة دراسات حول عدة من الحقول الأدبية و الفنية.

– نُشرت له مقالات عدة في صحف وطنية وعربية.

من مؤلفاته :

– ديوان "أحزان العشب والكلمات" .

– ديوان "الظِّلال المكسورة "2008 م.

– رواية بعنوان "حين يُبرعم الرَّفض".

شعر إدريس بوذيبة في عيون الآخرين:

"يتناسخ الشاعر إدريس بوذيبة في جزئيات الواقع الاجتماعي،ويعود إلى التراث فيسقط بعض حالاته على أوضاعنا الراهنة..."

مصطفى نطور،الأفق الثقافي:1982/05/24

" إدريس بوذيبة، شاعر الحالة الأكثر غموضا، واضافته للشعر الجزائري معتبرة ..."

عبد الله بوخالفة،1985/12/20

"طقس الحزن ومرثية الذات من مميزات الشاعر إدريس بوذيبة الذي يُعَدُّ من الشعراء الذين استطاعوا أن يكونوا حضورا مستمرا على الساحة الأدبية..."

محمد زتيلي، النصر:1985/12/20

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

*إدريس بوذيبة:

1. أحزان العشب والكلمات، مطبوعات اتحاد الجزائر الكتاب الجزائريين، (دط)، (دت).
2. الظلال المكسورة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، ديسمبر 2008.

ثانيا :القواميس والمعاجم:

3. آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، تر: سهى الطريحي، دار تبتنوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ، سوريا ، ط6، (د ت).
4. الفيرز آبادي: قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د ط)، 2008.
5. ماكس اس، شابيرو، روداهند ريكس: معجم الأساطير، تر: حنا عبود، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ط3، 2008.
6. ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

ثالثا: الكتب المراجع :

7. أحمد قبطون: الأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة الرمال،ولاية الوادي، الجزائر، ، ط1، 2016.

*أحمد كمال زكي:

8. الأساطير دراسة حضارية مقارنة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط2 ،2000.
9. الأساطير، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت).
10. أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1979.

11. أمال ماي: تجليات شهرزاد في الشعر الجزائري، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
12. أنس داوود: الأسطورة في الشعر العربي الحديث، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، (دب)، (دط)، (دت).
13. جمال مباركي: التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، (دط)، (دت).
14. رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أدونيس، دار التكوين، سوريا، ط1، 2009.
15. عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1986.
16. عبد الرضا علي: الأسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، (د ط)، (د ت).
17. عبد القادر فيدوح: معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2012.
18. عبد الهادي أحمد الفرطوسي: أقنعة هرمس للتأويل الأسطوري في الشعر، بغداد، العراق، ط2، 2012.
19. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضياه وظواهر الفنية و المعنوية، دار الفكر العربي، ط3، (د ت).
20. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1997.
21. عماد حاتم: أساطير اليونان، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2008.
22. فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، جذور التفكير وأصالة الإبداع، عالم المعرفة، سلسة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع284، يناير 1978.

*فراس السواح:

23. الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، سوريا، (دط)، (دت).

24. مغامرة العقل الكبرى دراسة في الأسطورة ، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1981 .

25. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج6، دار الطيبة، الرياض، ط2، 1992.

26. كلود ليفي شتراوس: الأسطورة والمعنى، تر: شاكر عبد الرحمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق،(دط)، (د ت).

27. محمد الأمين بحري: الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، منشورات الضفاف، بيروت، ط1، 2018.

28. محمد الصالح بوعمراني: أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية، مكتبة علاء الدين، صفاقص، ط1، 2006.

29. محمد عبد الرحمن يونس: الأسطورة مصادرها وبعض مظاهرها السلبية في توظيفها، دار الألمعية، الجزائر، ط1، 2014.

30. محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها،(د دن) لبنان، ط1، ، 1994.

31. محمد على السلايمي: الأسطورة في شعر المتنبي، نقلا عن: محمد الأمين بحري، الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، منشورات الضفاف، بيروت، ط1، 2018.

32. محمود سليم الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام، دار النهار للنشر،(د ب) ،ط1،(د ت).
33. مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1991 .
34. مؤلف جماعي: سلسة عندما نطق السراة، الأسطورة توثيق حضاري، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، ط1، 2005.
35. ميخائيل مسعود: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

*نبيلة إبراهيم:

36. أشكال التعبير الشعبي في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3 ، (دت).
37. أشكال التعبير الشعبي في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، (دط) ، (دت).

*نضال صالح:

38. النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
39. النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (دط)، مصر، 2001 .

رابعا:الرسائل الجامعية:

40. أحمد العياضي: القيم الجمالية في الشعر الجزائري المعاصر 1975-2000، أطروحة دكتوراه، قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة –الجزائر ، 2013-2014م.

خامسا: المجلات والدوريات:

41. معتز نديم الحجل: الأسطورة تعريفها، أصلها، تصنيفها، مجلة المعرفة، سوريا، ع333 ، 1991.

سادسا: الملتقيات:

42. محمد الأمين بحري: سيمياء الأسطورة في الرواية الجزائرية المعاصرة، الملتقى السابع للسيمياء والنص الأدبي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، أكتوبر 2013.

43. راضية بوبكري: الأدب والأسطورة، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة ، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، عنابه 2007.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ–ج
الفصل الأول: الأسطورة الماهية والمضمون	
أولا: تعريف الأسطورة	6
1– الأسطورة في اللغة	6
2– الأسطورة في الإصطلاح	7
ثانيا: نشأة الأسطورة	12
1–نظريات نشأة الأسطورة	12
أ/ النظرية الدينية	12
ب/ النظرية التاريخية	13
د/ النظرية الطبيعية	14
هـ/ النظرية الرمزية	16
و/ النظرية النفسية	17
2–الأسطورة عند العرب	18
ثالثا: أنواع الأسطورة	21
1–الأسطورة الكونية: (الطقوسية)	21
2– الأسطورة التعليلية	22
3– الأسطورة الحضارية	24
4– الأسطورة الرمزية	25
5– أسطورة البطل المؤله	25
رابعا: خصائص الأسطورة	26

فهرس الموضوعات:

خامسا: جمالية الأسطورة في الشعر	29
الفصل الثاني: تجليات الأسطورة في شعر "إدريس بوذيبة"	
أولا: الأساطير العربية	33
1-أسطورة أوجاع الأزرق ملول	34
2- أسطورة الطوفان	40
3- أسطورة شهريار	44
4- أسطورة طائر الفينيق	46
5- أسطورة خطيئة آدم عليه السلام	49
6- أسطورة المسيح	52
ثانيا: الأساطير الغربية	54
1- أسطورة بينلوب	54
2- أسطورة سيزيف	56
3- أسطورة أورفيوس	59
الخاتمة	67
الملحق	71
قائمة المصادر والمراجع	73
فهرس الموضوعات	79

ملخص:

احتلت الأسطورة حيزا كبيرا في الحياة المعرفية للإنسان، فأصبحت تشكل الوعي الثقافي والإيديولوجي لدى البعض، وقد اتخذها الشعراء المعاصرون وسيلة لتمرير أفكارهم ومواقفهم من خلال استدعاء شخصيات أسطورية واستثمارها في متونهم الشعرية، ونقل تجاربهم الحياتية الواقعية آملين في تشكيل وعي أدبي شعري متجدد.

فالشاعر "إدريس بوذيبة" يمثل تجربة إبداعية جزائرية استطاعت أن تغوص في عوالم الأسطورة العربية والغربية بلغة شعرية سليمة جمالية راقية، ومكثفة بدلالات ورموز إيحائية أسطورية.

Abstract :

Legend has taken a large part of thea their kowledge life of humand. It has formed cultural and the ideological consciouness of some else.

Contemporary poets have used it as way to pass their ideas and altitudes by interpellating legendary personalities, and inversting them in their poetries and also transferring theirreal lifeexperiences, hopingto form a new poetic literary consciousness.

Through this research, we studied the using of legend in poetries of the algerian poet « Idriss Bodhiba » who invested the western and the arabic legend with apoetic aesthitic languege and symbo in his peotries.